علي عبد اللطيف وجذور الليبرالية السودانية

عادل عبد العاطي

الإهداء

إلى دُرّية محمد حسين

شكراً وتقديراً

مدخل :

((لا يهمني إن كنتُ منتميا لتلك القبيلة أو تلك، فكلنا سودانيون، نعمل يداً واحدة من أجل تحرير بلادنا من سيطرتكم))

على عبد اللطيف يرد على سؤال المحقق البريطاني لأي قبيلة هو ينتمي - ١٩٢٣

((إن كان نداء الوطن هو ذنب، فذاك ذنب على أفندي عبد اللطيف))

العازة محمد عبد الله – زوجة علي عبد اللطيف- في عريضة تطالب بإطلاق سراحه – ١٩٣٨

ثورة ١٩٢٤ وجذور الليبرالية السودانية:

نزعم إن جذور الليبرالية السودانية الأولى تمتد إلى ثورة ١٩٢٤ وتجربة تنظيمي الإتحاد السوداني واللواء الأبيض. لكننا إذا أردنا الدقة فإننا ننسبها إلى القائدين الرئيسين لتلك التجربة، وهما علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين، وتحديداً إلى علي عبد اللطيف.

وتكاد أغلب تفاصيل ثورة ١٩٢٤ والحركات السابقة والممهدة لها أن تكون معروفة لنا اليوم، بفضل جهود مؤرخين سودانيين وأجانب عديدين (سليمان كشة، عبد الحميد إبراهيم عبد الرحمن، عبد الكريم السيد، مبارك بابكر الريح ، جعفر محمد علي بخيت، أحمد إبراهيم دياب، يوشيكو كوريتا، إلينا فيزيديني الخ) وشهادات بعض المشاركين في الأحداث. لكن الناس إختلفت و لا تزال تختلف في تقييم تلك الثورة وتلك الحركات، ما بين مؤيد لها وناقد، وممتن تجاهها وجاحد، وإن كان لا إختلاف بينهم حول أهمية تلك التجربة في تاريخ السودان الحديث.

وربما يعتبر البعض إن تصنيفنا لقائدي تلك التجربة التاريخيين كآباء مؤسسين لليبرالية السودانية إجتراء على التاريخ، وإفتراء على الرجلين. ذلك أنهما لم يصنفا نفسهما قط كليبراليين، بل لم نجد من

المؤرخين والدارسين من صنفها هكذا. لكننا ننطلق في تقييم الأفكار والبرامج من منهج يخضع قرائتها لشروط موضوعية، يمكن من خلالها تصنيفها ضمن تاريخ الأفكار، وتحديد ملامحها الرئيسية، ولأقرب التيارات المعاصرة تكون.

وإذا كان كاتب مثل جان جوريس الفرنسي قد رأي في اسهامات لوثر وفيختة وكانط وهيجل أصولاً للإشتراكية الالمانية، في عمله بذاك العنوان، وإذا كان آخر مثل بندلي جوزي قد بحث عن "تاريخ الحركات الإجتماعية في الاسلام"، وثالث مثل حسين مروة قد نقَب عن "النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية". وإذا كان الاسلاميون السودانيون يرون في دولة المهدية ارهاصاً ونموذجاً أولاً لدولتهم "الرسالية" ، فإننا لا نجد حرجا في البحث عن جذور الفكر التحرري في تاريخنا الحديث والإشارة إليه كلما رصدناه، ما دمنا في كل هذا نلتزم بحدود البحث العلمي ونلتزم بالحقيقة التاريخية.

وقد كان اليمينيون واليساريون أبكر احساساً منا بالعمق التحرري الكامن في ثورة وتجربة ١٩٢٤ ، وفي تراث قائديها، لذلك تعرضت منهم للإهمال المتعمد مرات، وللهجوم الكاسح مرات. هذا الهجوم

نجده من طرف اليمينين الطائفيين في زمن الثورة وما أعقبها من سنوات، ومن طرف اليساريين نجده في احد أهم كتب عبد الخالق محجوب "ملامح من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني"، والذي تعتبر كتاباته إنجيلاً لليساريين السودانيين، والذي أبدى فيه تحامله الشديد على تلك التجربة، مما سنرجع له في طي هذا البحث. وكذلك نجد الهجوم على الثورة في كتابات يساريين مرموقين سنتعرض لها.

وإذا كان اليسار واليمين مع مرور الزمن قد توقفا عن الهجوم على تراث ثورة ١٩٢٤ وقيادتها، فإن منهجها في الهجوم لم يتوقف، ويجد له متابعون معاصرون. وفي الحقيقة إنه ليس من قبيل الصدفة أن أحد الصحفيين المعاصرين، قد هاجم و سخـــر من البطل علي عبد اللطيف في معرض نقاش له معنا، كان يدافع فيه عما رفضه علي عبد اللطيف وما نرفضه نحن– أي الطائفية السياسية والشمولية الشيوعية - ، وزعم ساخراً – في سير على نفس طريق الإجحاف اليساري- إن ((**من مطالب ثورة ١٩٢٤ التي صاغها علي عبد اللطيف الوحدة في التاج المصري ووضع البلد بيد التجار. أين موقعها من المشروع الديمقراطي؟**)).[١]

إن الناقدين اليمينين واليساريين المعاصرين لتجربة وإرث على عبد اللطيف محقين في عدائهم لثورة ١٩٢٤ ولقائدها، وفي محاولتهم النيل منها. ذلك أنهم يحسون – وإن دون وعي – إن تجربة على عبد اللطيف واللواء الأبيض قد كانت تجربة متميزة عن كل تجارب اليمين واليسار في السودان. كما إن اهتمامنا بها كليبراليين ومحاولة دراسة إرتباطها بالفكر التحرري لهو أكبر من مجرد تمجيدنا لها كإرث وطني. حيث يكمن هذا الإرتباط في المنطلقات المشتركة والنزعة الواحدة والإلتزام بمنهج الحرية الكاملة: الاقتصادية والسياسية، والذي طرحته تلك الثورة، ورفض القديم البالي الطائفي والشمولي، و هو المنهج والطريق الذي نعتبره تراثاً لنا نواصل السير فيه، رغم تغير الأحوال والاشكال، وتبدل الزمان والمكان.

علي عبد اللطيف: سيرة حياة مختصرة:[٢]

ولد علي عبد اللطيف في عام ١٨٩٦ في شمال السودان بوادي حلفا، لأب جندي يدعي عبد اللطيف أحمد، يرجع أصله غالباًلجبال

النوبة، رغم أنه ولد وترعرع – أي الوالد- في قرية الخندق جنوب دنقلا على الضفة الغربية للنيل.

وكان عبد اللطيف أحمد، والذي كان يحمل على وجهه وشم الوجه (الشلوخ) الشايقية، رقيقاً معتقاً لشخص إسمه أحمد حسن، وهو تاجر غني من الخندق يرجع نسبه إلى قبيلة العبدلاب، وتحديداً "خشم بيتها" المسمى بالحسناب.

أما أُم علي عبد اللطيف فقد كان اسمها الصبر أو الصبر زين. وقد كانت غالباً إمةً معتقةً من الخندق، من أصول دينكاوية . وكانت متزوجة قبل زواجها من عبد اللطيف لرجل إسمه محمدين محمدين حسن، وهو أبن اخ أحمد حسن، وانجبت له طفلاً اسمه الطاهر، قبل ان تتزوج عبد اللطيف وتنجب له إبنها علي.

وكان عبد اللطيف أحمد وقت ولادة علي، جندياً في احدى الأورطتين السودانية في الجيش المصري، وهما الأورطة ١٣ و١٥ (وربما عمل بهما كليهما). وكانت الأورطتان السودانيتان جزءاً من جيش "الفتح" المناط به إعادة انتزاع السودان من سلطة الدولة المهدية، وكانت وادي حلفا نفسها قاعدة متقدمة في هذا المسعى، الذي تكلل بالنجاح بعد عامين من ولادة علي عبد اللطيف.

وبعد إستكمال الإحتلال الإنجليزي المصري للسودان بعدة سنوات، أُحيل والد علي عبد اللطيف إلى التقاعد برتبة عريف، حيث سافر للإستقرار في مدينة الدويم على النيل الأبيض، في مستوطنةٍ زراعيةٍ اقامتها الإدارة البريطانية للجنود المتقاعدين. ولم يلبث علي مع عائلته هناك إلا قليلاً، ليرحل بعدها لتلقي العلم في الخرطوم، تحت اشراف ورعاية "خاله" ريحان عبد الله، وهو أيضاً ضابط متقاعد بالجيش.

وفي الخرطوم إلتحق علي عبد اللطيف – مع إبن خاله حسين ريحان عبد الله – بخلوة لتعليم الكتابة وحفظ القرآن في بري، ثم التحق بكلية غردون التذكارية، ثم انتقل منها للمدرسة الحربية، والتي تخرج منها كضابط متميز في عام ١٩١٣، حيث مُنح عند تخرجه ميدالية السردار.

وبعد تخرج علي عبد اللطيف تم تعيينه ملازماً ثانياً في الأورطة ال١١ في عام ١٩١٤، وفي عام ١٩١٦ تزوج "قريبته" العازة محمد عبد الله، حيث رزق منها ببنتين هن نعمات المولودة في عام ١٩١٧، وإحسان الملقبة ب"ستنا"، والتي تمت ولادتها إبان سجن علي عبد اللطيف في عام ١٩٢٢، ولقبت لذلك أيضاً ب"سجون."

وتنقل علي أثناء عمله بالعسكرية في مناطق مختلفة من السودان، فقد إنتقل عام ١٩١٦ مع أورطته إلى تلودي في جبال النوبة، ثم نقل بعد ذلك للعمل في الأورطة التاسعة في الفاشر بدارفور، حيث قضي هناك عامين، ثم نقل إلى رمبيك بمديرية بحر الغزال، ثم تم نقله وتعيينه مامور اً في مركز شامبي ، وفي نفس الوقت تقريباً تمت ترقيته إلى رتبة ملازم أول. وفي عام ١٩١٩ تم نقل الملازم أول علي عبد اللطيف إلى الأورطة ١٤ في ودمدني، والتي بقي بها حتى عام ١٩٢١، حيث أعلن تمرده برفضه تأدية التحية لضابط إنجليزي أعلى منه رتبةً، فتم إيقافه عن العمل وإحالته إلى الخرطوم للتحقيق. وأُلحق مؤقتا – حتى ينتهى التحقيق- بالأورطة الرابعة بامدرمان.

وفي الخرطوم كتب علي عبد اللطيف مقالته "**مطالب الأُمة السودانية**"، والتي تم ضبطها وقدم على أثرها للمحاكمة بإعتبار إن المقال مُعادٍ للحكومة. فتم تجريده من رتبته العسكرية والحكم عليه بالسجن لمدة عام.

وكان علي عبد اللطيف رغم نموه في بيئة عسكرية (أبيه ثم خاله) ، إنساناً متعدد المواهب. فقد تعلم الخياطة في دكان عبد التام، أب

صديقه زين العابدين عبد التام. كما إن تعليمه بكلية غردون قد وسع من آفاقه الأدبية، فضلاً عن إطلاعه الواسع على الصحف والمجلات المصرية والكتب. وقد تطور نشاط علي عبد اللطيف الأدبي من القراءة للكتابة، حيث كان يكتب للصحف وله محاولات أدبية، بل محاولات في التمثيل والإخراج في نادي الخريجين بمدني. وتحكي عنه زوجته العازة انه كان ((**قليل الأكل لا يشرب الخمر ولا يدخن، وانه كان يساهر كثيرا يقرأ ويكتب**))[٣]. ويبدو إن علي عبد اللطيف كان واحداً من أكبر مثقفي عصره، حيث كان قد أنضم في عام ١٩١٩ لنادي الخريجين بود مدني، وفي عام ١٩٢١ أصبح عضواً في لجنته التنفيذية.

ولم يكتف علي عبد اللطيف بالنشاط الأدبي والعسكري، وإنما مارس النشاط الاقتصادي الخاص، ويبدو هذا منذ مطلع عمره، حيث يحكي محمد عمر بشير عنه أنه كان طفلاً شقياً و ((**قد إعتاد على كسب نصف قرش يوميا مقابل الإشراف على الخيول خارج أحد النوادي**))[٤]. أما أثناء عمله بالعسكرية فقد مارس النشاط الخاص، حيث اشترى وجمع كمية كبيرة من العاج إبان اقامته بالجنوب، قام بترحيلها فيما بعد للشمال حيث قام ببيعها بسعرٍ مجزٍ

مكنه من شراء بيتين في الخرطوم. كما كانت له ممتلكات في جبال النوبة، يبدو أنه أكتسبها إبّان فترة عمله هناك. ويبدو إن علي عبد اللطيف كان يخطط منذ فترة مبكرة لترك العسكرية والتفرغ للعمل السياسي. ولو كان نشاطه الأدبي غطاءاً وتمهيداً لنشاطه السياسي السري، والذي بدأه تقريبا منذ العام ١٩١٩، أو ربما قبل ذلك، فقد كان نشاطه الخاص بمثابة التمهيد لتحقيق إستقلاليته الإقتصادية عن الحكومة التي كان ينوي مقاومتها.

بعد إطلاق سراح علي عبد اللطيف ساهم بنشاط في العمل السياسي، حيث قاد الإنشقاق الذي تم في جمعية الإتحاد السوداني، وكوّن مع العناصر الراديكالية من ذلك التنظيم، وعلى رأسها عبيد حاج الأمين، جمعية اللواء الأبيض في نهاية عام ١٩٢٣. والتي إنتشرت فروعها بسرعة قياسية في مدن السودان المختلفة، لتقود الثورة في عام ١٩٢٤، تحت زعامة الرجلين.

وفي ٤ يوليو ١٩٢٤ إعتقل البريطانيون علي عبد اللطيف، وقدموه خلال نفس الشهر لمحاكمة حكمت عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة التحريض على المظاهرات. وفي أبريل ١٩٢٥ قدموه لمحاكمة أُخرى بتهمة حيازة وثائق مثيرة للفتنة، حيث حكمت عليه

المحكمة بالسجن سبعة سنوات، وهي العقوبة التي اضيفت إلى الحكم الأول ليصبح عدد سنوات حكمه عشر سنوات.

وسجن علي عبد اللطيف بالخرطوم أولاً، ثم نقل إلى سجن واو في عام ١٩٢٧، حيث تعرض هناك لمحاولة إغتيال من أحد زملائه بالسجن، كان يقف ورائها غالباً البريطانيون. وفي عام ١٩٣٤ رفض البريطانيون إطلاق سراحه – بعد انقضاء مدة محكوميته- بحجة أنه غريب الأطوار أو مجنون. ولكن وثائقهم السرية تكشف إن السبب الرئيسي هو اعتبارهم له "**محرضاً خطيراً وعنيداً وماكراً**". فتم نقله إلى سجن كوبر، حيث قضي هناك أكثر من ثلاثة سنوات. وفي عام ١٩٣٨ تم ترحيله سراً إلى مصر، حيث تم إعتقاله أولاً بالمستشفي العسكري، ثم بمستشفي الأمراض العقلية في العباسية، والتي بقي فيها حتى موته في ٢٩ اكتوبر ١٩٤٨، ليكون قد قضى أكثر من ٢٤ عاما في غياهب السجون والمعتقلات، منها ١٤ عاماً دون محاكمة ولا حكم.

من جمعية أرامل الضباط إلى جمعية اللواء الأبيض: سيرورة التنظيم والثورة:

إنخرط كل من علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين في الفعل السياسي والتنظيمي الذي أفرز ثورة ١٩٢٤. وإن كانت بداية نشاط الرجلين مختلفة، فقد تلاقت خطاهما نهائيا في عام ١٩٢٣، ليؤسسا جمعية اللواء الأبيض في ١٩٢٤، والتي كانت القائدة الفعلية لثورة ١٩٢٤ ومشعلة شرارتها.

ويبدو إن بداية نشاط علي عبد اللطيف كانت أبعد زمنياً من نشاط رفيق دربه عبيد حاج الأمين. فقد حكت عنه زوجته العازة أنه كان يرى لنفسه دوراً قيادياً، يلمح إرهاصاته في الأحلام. ذكرت العازة في هذا الصدد : ((**قال لي علي أنه رأيت في المنام أنا مُتّ وبعدين جوا أربع رجال شالوني عايزين يختوني في القبر، يجي راجل واحد بعدين بي نترة يقول ليهم دا مين؟ يقولوا ليه دا علي عبد اللطيف – يقول ليهم أنا مش رسلتكم لعلي عبد اللطيف – خلي علي عبد اللطيف يقوم بي غرضه، هو لسا ما جا – خلي يغضي الغرض ده**)) [٥]. ثم يحكي لها لاحقاً ما فهمه من هذا الحلم ((**راح تحصل حاجة في البلد ما بعرفها – وأنا أكون يعني معاها، وانت من الضمن معاي تاخدي نصيب شوية**)) [٦]. هل كان علي عبد اللطيف يحاول بهذا تحضير العازة نفسياً، وتأهيل زوجته لدورها المستقبلي

كزوجة لقائد سياسي؟ وهي التي كانت وقتها إمرأة بسيطة لا تفهم في السياسة ؟

يعزز هذا الرأي إن أولى محاولات علي عبد اللطيف التنظيمية والسياسية، كانت فكرة اقامة تنظيم تحت إسم "جمعية أرامل الضباط"، وهي جمعية وطنية لإعانة أرامل الضباط تمول نفسها ذاتياً وليس من الحكومة. ويبدو أن علي عبد اللطيف كان يُعدّ زوجته العازة لرئاسة هذا التنظيم، والذي فضلاً عن قيامه بمهمته الأساس في دعم أولئك الأرامل، يفترض منه أن يشكل غطاءاً إجتماعياً لتحركاته هو – السياسية - وسط الضباط. كما إن جزءاً من تجهيز العازة السياسي كان يكمن في أن تصبح حلقة وصل في حالة إعتقاله مع زملائه، وهو ما تم لاحقاً. حيث لعبت العازة دوراً محورياً في الإتصال بينه وبين عبيد حاج الأمين في فترة سجنه الأول، وفي تأمين الوثائق السرية، بل في الخروج في المظاهرات حيث كانت أول أمراة سودانية تخرج في المظاهرات.

إن هذا الموقف من علي عبد اللطيف، يمكن اعتباره موقفاً جندرياً متقدماً ومبكراً، فالرجل لم يحاول منع زوجته من النشاط السياسي، بل على العكس، كان يهيئها لذلك، رغم ضعف تأهيلها

التعليمي. كما إن إهتمامه بقضايا المرأة تجسّد في إهتمامه بقضايا أرامل الضباط، ومحاولته إنشاء تنظيم يدعمهن، وهو تفكيرٌ متقدمٌ حينها، ويعبر عن مفهوم التمكين أو ال" Empowerment" اللاحق للنساء، ويمكن أن نجد فيه بذور الموقف التحرري تجاه المرأة ومشاركتها في الحياة العامة، والذي طوره الليبراليون السودانيون فيما بعد.

في نفس الوقت تقريباً كان علي عبد اللطيف يحاول أن يجمع الضباط من كل مناطق السودان على إختلاف إنتماءاتهم العرقية، في تنظيم واحد، يهدف إلى الوحدة والتعاون بين مختلف قبائل السودان، وكان هذا التنظيم يسمي ب"جمعية قبائل السودان المتحدة" – وهي الإرهاص الأول لما سيتكون لاحقاً بإسم جمعية اللواء الأبيض، وموازية في نفس الوقت لما كان يعمل عليه عبيد حاج الأمين، في تأسيس "جمعية الإتحاد السوداني"[٧].

لقد كانت محاولة إنشاء هذين التنظيمين، أي "جمعية أرامل الضباط" و"جمعية قبائل السودان المتحدة" من طرف علي عبد اللطيف، ترجع تقريبا للعام ١٩١٩، أي فترة عمله بمدني. إلا أنها ربما تمتد لفترة أبعد من ذلك، فالعازة تحكي عن إجتماعات سرية كان علي

عبد اللطيف يقوم بها وسط الضباط في الجنوب، ولقاءات ليلية هناك. بل ربما يرجع نشاطه السري لسنين عمله في جبال النوبة ودارفور. جدير بالذكر إن علي عبد اللطيف كان يحاول الخروج من دائرة العمل وسط الضباط، للإنفتاح على فئات أوسع. وربما يفسر هذا إنضمامه في ود مدني لنادي الخريجين ونشاطه الطاغي فيه، وزياراته في الإجازة للخرطوم ونشاطه في نوادي الخريجين فيها، بل زيارته حتى لشندي وغيرها. إن وثائق المخابرات البريطانية في ذلك الوقت ترصد نشاط علي عبد اللطيف، وانه يعمل نيابة عن "جمعية قبائل السودان المتحدة[٨]."

في سياقِ موازٍ، كان عبيد حاج الأمين، منخرطاً في تأسيس تنظيم أخر في الخرطوم، مع آخرين، بإسم "جمعية الإتحاد السوداني"، والتي تأسست على تخوم عامي ١٩١٩-١٩٢٠ ، وكان في قيادتها جنبا إلى جنب مع عبيد حاج الأمين، مجموعة من مثقفي الطبقة الوسطى الناشئة، وهم توفيق صالح جبريل ومحي الدين جمال أبو سيف وأبراهيم بدري وسليمان كشة ، والذين إنضم لهم لاحقا كل من خلف الله خالد والأمين على مدني ومكاوي يعقوب وعبد الله

خليل ومحمد صالح الشنقيطي وبابكر قباني وخليل فرح ومحمد العمرابي الخ[٩].

كان هدف تلك الجمعية هو "**رفع مستوى الوعي بين السودانيين عبر النشاط الأدبي وعبر نشر وجهات نظر تنتقد حكومة الحكم الثنائي**" – وكانت في مفهومها العام للوطنية تنطلق من مفهوم الوطنية السودانية كما عبرت عنه جريدة الحضارة ووجود مسألة سودانية مستقلة عن المسألة المصرية. مع ذلك كان للجمعية ميل طفيف للمصريين (على عكس الحضارة) وهو ما عبر عنه شعارها الرئيس أو برنامجها العام (السودان للسودانيين والمصريين أولى بالمعروف) – وهو شعار استمدته كما يقول مكي شبيكة ((**من مقال كان قد نشر في جريدة التيمس الإنجليزية، قام ناظر كلية غردون بقرائته على بعض خريجي الكلية وكان المقال ينادي بمبدأ السودان للسودانيين ويطالب بريطانيا بأن تتبني هذا المبدأ وتعمل له**)).[١٠]

من الواضح إن علي عبد اللطيف وإن لم يكن من اعضاء جمعية الإتحاد السوداني القياديين، إلا أنه كان قريباً منها منذ البداية. ويكتب محمد عمر بشير عن علاقة له قوية بمصري أسمه محمد ابو

الفتوح في مدني كان على علاقة بجمعية الإتحاد السوداني[١١]. بينما يقول محمد إبراهيم دياب في مذكراته إن علي عبد اللطيف كان عضواً بالجمعية، وإن كان سليمان كشه ينفي ذلك (ربما لم يكن يعرف بعضويته حسب نظام الخلايا السري المبتدع في الجمعية حيث لا يعرف القيادي الا الخلية – الخلايا التي تتبع له)[١٢]. وعلى كلٍ فإن وثائق المخابرات الإنجليزية تحسم الأمر حين تقول إن علي عبد اللطيف كان عضوا بجمعية الإتحاد السوداني في مدني مع أربعة آخرين.[١٣]

كانت "جمعية الإتحاد السوداني" المدرسة الأولى في العمل السياسي الحديث وفي العمل السري في السودان بشكل عام. وإستطاعت أن تمد جذورها وسط الخريجين والموظفين والتجار وبعض القيادات الأهلية. ويرجع الفضل في هذا بصورةٍ أساسيةٍ الى رئيسها عبيد حاج الأمين ، والذي إستغل موظفي البريد والبرق والسكة حديد لإيصال أدبيات الجمعية إلى مختلف مناطق السودان. ويبدو أن فروع الجمعية إمتدت لمدن الأقاليم بل حتى بعض المناطق الريفية. ولكن عبيد حاج الأمين رغم هذه الإنجازات لم يكن راضياً عن أداء الجمعية. وفي عام ١٩٢٣ طرح واجب أن تتحول الجمعية من العمل

السري الأدبي إلى العمل السياسي العلني والمصادم، وإن ثلاثة سنوات من العمل السري تكفي لتمهيد الأرض، الأمر الذي لم تقبله العناصر المحافظة في الجمعية. أدى هذا لإنشقاق عبيد حاج الأمين بمجموعته في عام ١٩٢٣، خصوصا بعد وصول معلومات إن المخابرات قد اخترقت الجمعية، وربما تنفيذاً لمخطط مشترك مع علي عبد اللطيف بتكوين تنظيم جديد أكثر راديكاليةً ووضوحاً من الإتحاد السوداني.

من الواضح لي إن علاقة قوية قد قامت بين علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين في الفترة ١٩٢٠-١٩٢٣، تخطت علاقة الرئيس والعضو في جمعية الإتحاد السوداني لتصل لعلاقة الشراكة السياسية والقيادة المشتركة لمشروع التحرر الوطني والإجتماعي. ومن الجدير بالذكر أن الرجلين تميزا بعداء متطرف للإنجليز مقروناً بخصومة بائنة مع القيادات الدينية والعشائرية ، الأمر الذي لم تشترك فيه معهم بقية قيادات الإتحاد السوداني والتي كانت تهادن كل من الإنجليز والقيادات الدينية التي تواليهم. في هذا الإطار يمكن أن نفهم خروج عبيد حاج الأمين من جمعية الإتحاد السوداني – وهو رئيسها –. ربما يرجع ذلك لأنه أحسّ أنها تقيد أفكاره

ونشاطه، وإن أفكاره لا تنسجم مع أفكار غيره من القياديين فيها. وربما يرجع السبب لضرورة إدخال علي عبد اللطيف لقيادة الحركة، وهو الذي أتى بإرث تنظيمي مميز من تجاربه السابقة، وكانت له علاقات واسعة في الجيش ووسط العمال وفي الأقاليم ، ويشترك تماماً مع عبيد حاج الأمين في مقته للقيادات الدينية والقبلية وفي راديكاليته تجاه الإنجليز[١٤]. وقد رصد تقرير بيلي الملحق بتقرير ايوارت هذه التطورات عندما قال ((وظهر في الجمعية (الإتحاد السوداني) منذ سنة ١٩٢٢ إتجاه متطرف كان يضم في جملته الضباط والعسكرين من أعضاء الجمعية))

عموما فإنه بعد خروج علي عبد اللطيف من السجن في عام ١٩٢٣، فقد بدأ سلسلة واسعة من التحركات الفردية مع أعضاء جمعية الإتحاد السوداني كان يدعو فيها إلى أعمال أكثر صدامية ضد الإنجليز وإلى مواقف أكثر إستقلالية من القيادات والزعامات التقليدية الموالية للإنجليز. وقد أدى نشاط علي عبد اللطيف هذا، المتوافق مع توجهات عبيد حاج الأمين إلى إعلان جمعية اللواء الأبيض في ٢٠ مايو ١٩٢٤. وهناك خلاف حول هذا التاريخ، حيث إن الوثيقة الأولى الرئيسية التي صدرت عن الجمعية هي برقية

للحاكم العام صدرت قبل التأسيس باربعة أيام ووقعها خمسة قياديون ممن سيشكلون أول قيادة لجمعية اللواء الأبيض،[١٥] وهو ما يوضح جذور الجمعية هي أبعد من تاريخ الإعلان.

وقد نشأت جمعية اللواء الأبيض حرفياً في معمعة النضال، وكانت قيادتها الأولى تتكون من علي عبد اللطيف رئيساً، وعضوية كل من عبيد حاج الأمين (الذي سيصبح الرئيس بعد إعتقال علي عبد اللطيف) وحسن الشريف وحسن صالح المطبعجي وصالح عبد القادر. كما لعب علي أحمد صالح دوراً كبيراً في تنظيم قطاعاتها العمالية والشعبية، ونشط أيضا في تنظيم قطاع لها وسط التجار وكذلك وسط الحرفيين والمعلمين الخ ، وإن اتضح لاحقاً علاقة الرجل بالمخابرات البريطانية.

ويبدو إن جمعية اللواء الأبيض قد اعتمدت في تجربتها التنظيمية على تراث وعناصر الإتحاد السوداني، وعلى علاقات علي عبد اللطيف. فهي قد بنت نفسها على أساس نظام الخلايا الخماسية نفسه، وكانت قيادتها المركزية خماسية (كما الإتحاد السوداني). ويقول محمد عمر بشير إن قوة الجمعية الرئيسية كانت تتركز بين ضباط الجيش الذين كانوا مأسورين بشخصية علي عبد اللطيف، ووسط الكتبة

المعجبين بشخصية عبيد حاج الأمين[١٦]. وقد نمت الجمعية بسرعة خرافية واخترقت فئات شعبية جديدة وخصوصا وسط العمال والحرفيين، وإنتشرت فروعها ونشاطاتها بصورة توضح أنها اعتمدت على جهاز تنظيمي سابق (أو أكثر من جهاز). ورغم إن الإنجليز قد رصدوا من عضويتها المعلومة ١٥٠ عضوا ، ومن وسط العسكريين ٩٠ عنصرا، إلا أنه من الواضح إن عضويتها ومؤيديها كانوا أكثر بكثير من هذه الارقام، وذلك بدلالة إن الكثير من فروع الجمعية العنقودية كانت (كالإتحاد السوداني) تتنظم بشكل سري، وإن زخم المظاهرات كان أكبر بكثير من ان يقوم بها هذا الكادر الصغير.

عموما فإن تاريخ جمعية اللواء الأبيض معروف وموثق إلى درجة كبيرة، وليس هو مقام بحثنا هنا، فقد قامت هذه الجمعية إهتداءاً بالخط السياسي والتنظيمي لزعيمها بتنظيم كمية من المظاهرات والنشاطات المدنية والعسكرية في مختلف مناطق السودان، ومن بينها الانتفاضة المسلحة التي قادها عبد الفضيل الماظ، والتي سُميت بثورة ١٩٢٤. وقد واجهت الإدارة الإستعمارية هذه "الثورة" الوطنية الحديثة بالقمع الشديد بينما تأمرت ضدها القيادات الدينية والقبلية وأدانتها بشدة ، بينما تخاذلت عن دعمها

القوى المصرية سواء كانت حاكمة أم مدنية (إستقالة سعد زغلول وتخاذل الإتحاد العام لعمال وادي النيل) ممن كانت تعول عليهم الجمعية كحلفاء، وممن وقفت الجمعية دفاعا عن الروابط معهم إلى حد رفع السلاح، رغم الإنخراط القوي لبعض كتاب الصحافة المصرية والعديد من المصريين المقيمين بالسودان في دعم الثورة.

الأفكار الرئيسية لعلي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين:

من الصعب التعرف على الأفكار الكاملة لكل من علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين. ويرجع ذلك أولاً لأن هذه الأفكار لم تجد صياغتها الكاملة في شكل كتابات نهائية وبرامج مصاغة، كما ضاعت بعضاً من أهم الوثائق التي كتباها والتي أشار اليها المؤرخون. وثانياً لأن تلك الأفكار نفسها كانت في حالة من التطور والتغير المستمر، حسب التطور السياسي والفكري والتنظيمي للرجلين.

عموما يمكننا الإشارة إلى تلك الأفكار من خلال بعض الوثائق التي ثبتت نسبتها إلى الزعيمين، وهي رسالة عبيد حاج الأمين إلى الأمير عمر طوسون في ١١ نوفمبر ١٩٢٢ ، ومختصر مقالة علي عبد

اللطيف "مطالب الأُمة السودانية"، وما يمكن إعتباره بمثابة البرنامج السياسي لجمعية اللواء الأبيض والمصاغ تحت عنوان "نداء الأُمة السودانية إلى الأُمة البريطانية". وقد نقوم بجمع وتحقيق هذه الوثائق في المستقبل إذا توفرت لذلك الفرصة والوقت.

في رأيي إن هذه الأفكار يمكن إختصارها في التالي:

الأُمة السودانية الواحدة والوطنية الجديدة:

يمكن الزعم إن عبيد حاج الأمين وعلي عبد اللطيف قد أصرا دائماً على وجود أُمة سودانية واحدة، مستقلة عن غيرها من الأُمم (لنلاحظ استخدام مصطلح الأُمة السودانية في العديد من كتابات الرجلين ووثائق التنظيمين) . وهي فكرة ترجع جذورها إلى المفاهيم التي نشرتها صحيفة الحضارة.

إلا أنه على العكس من قيادة صحيفة الحضارة (حسين شريف) بل وعلى العكس من بعض قيادات الإتحاد السوداني الأُخرى (سليمان كشة) فإن الزعيمين كانا يران أن هذه الأُمة تتكون من أبناء الشمال والجنوب على السواء، وهي ليست جزءا من الأُمة العربية، وليست جزءا من الأُمة المصرية أيضا . في هذا المجال نستحضر

الواقعة الشهيرة عن إعتراض على عبد اللطيف على الإهداء الذي كتبه أحد قادة الإتحاد السوداني وهو سليمان كشة لكتابٍ جمعه وكان يفترض أن يكون أحد اصدارات الجمعية، حيث أهداه إلى (الشعب العربي الكريم) ، فاحتج على عبد اللطيف بأنه كان من الافضل أن يقول (إلى الشعب السوداني الكريم)[١٧].

إن قائدي الثورة قد كانا معاديان بشكل قاطع للقبلية وتقسيم السودانيين على أساس عرقي أو قبلي أو عنصري، وقد تجلى هذا النزوع بشكل واضح في جمعية اللواء الأبيض التي ضمت طائفة واسعة من قوس قزح الإثني والجهوي في السودان. فمن ضمن ١١١ عضوا في الحركة تم رصد أُصولهم القبلية كان هناك تمثيل ل٢٠ قبيلة سودانية. إن الحركة قد ضمت الكثير من أبناء الوسط والشمال أو ما نسميه بالقبائل المستعربة، كما ضمت العناصر التي سمتها الدكتورة يوشيكو كوريتا بالزنوج المنبتين قبليا، أي العناصر الزنجية المدينية – مثل علي عبد اللطيف نفسه -، كما نجد فيها تمثيلاً كبيراً للقبائل الزنجية من الجنوب وغرب السودان(البرنو، الدينكا ، النوبة، النوير، الفور) وخصوصا في قطاعها العسكري.[١٨]

كما ضمت الحركة أعداداً من المولدين (أي أبناء الزيجات السودانية التركيةوالسودانية – المصرية) وكذلك الأقباط. إن الحركة ببساطة كانت تشكل كل فسيفسا ء التكوين الاثني والديني في السودان في تلك الفترة، وما كان الإنتماء القبلي ولا الطبقي يحدد موقع العضو في الحركة، والتي كان رئيسها بلا منازع والمعترف بزعامته من كل الأعضاء والمؤيدين للحركة من اصل نوبي – دينكاوي ، ومن بينهم أبناء زعامات قبلية كبيرة واسر شهيرة من قلب الصفوة الاسلامية – العربية، ومن بينهم عبيد حاج الأمين نفسه وملازم علي دينار وأحمد مدثر إبراهيم ومحمد هاشم ابو القاسم، بل ولقد ضمت الحركة بعض القيادات القبلية امثال الملك علي ود ناصر ملك قبيلة الجموعية حينها، والذي وإن لم يكن عضوا باللواء الأبيض، فهو قد كان مؤيداً لها بلا شك، والدليل هو عدم توقيعه على "اسفار الولاء" التي وقعتها الكثير من القيادات القبلية، رغم أنه كان زعيم اكبر قبيلة تسكن في منطقة الخرطوم، ومحاولته إنقاذ بعض جنود الثورة، والذين تم إعتقالهم وإغتيالهم بخدعة ماكرة كانوا هم والملك ناصر من ضحاياها[١٩].

الشاهد إن قيادة واعضاء اللواء الأبيض تحديداً، كانوا ينظرون لأنفسهم كسودانيين في المقام الأول، بل وكانوا ينكرون إنتماءاتهم القبلية ويرفضون التصريح بها، في شكل متطرف من التوجه القومي. وكلنا نتذكر قصة رفضهم الإفصاح عن قبائلهم عند التحقيق معهم بعد نهاية الثورة، مما عرضهم للتعذيب والجلد من قبل الإنجليز، والذين كانوا يريدون العودة بهم إلى قوقع القبيلة. كما إن مقولة علي عبد اللطيف التي جعلناها "فاتحة" لهذا البحث تعبر تماما عن تلك الروح، فقد قال للضابط الإنجليزي الذي كان يحقق معه بعد اعتقاله وسأله عن قبيلته (((**لا يهمني إن كنت منتمياً لتلك القبيلة او تلك فكلنا سودانيون، نعمل يداً واحدةً من أجل تحرير بلادنا من سيطرتكم**)) – كما إن هذه الروح نجدها في أشعار شعراء وفناني الثورة، وعلى رأسهم خليل فرح وتوفيق صالح جبريل، وأيضا يوسف مصطفى التني صاحب (في الفؤاد ترعاه العناية) حين يقول:

نحن للقومية النبيلة ... ما بندور عصبية القبيلة

تربي فينا ضغائن وبيلة ... تزيد مصايب الوطن العزيز

بالمقابل كان خصوم الثورة يعملون طول الوقت على تأبيد القبلية والارستقراطية، وعلى تقسيم الناس قبلياً وعرقياً، وكانت واحدة من حججهم الأساسية في دعايتهم ضد الثورة وقادتها هي قضية المحتد النبيل كما أسموه والإنتماء القبلي ، فقد كتب قائلهم في صحيفة الحضارة: ((**أهينت البلاد لما تظاهر أصغر وأوضع رجالها دون أن يكون لهم مركز في المجتمع بأنهم المتصدون والمعبرون عن رأي الأُمة**)) وقال ((**إن الشعب ينقسم إلى قبائل وبطون وعشائر، ولكل منها رئيس او زعيم او شيخ، وهؤلاء هم أصحاب الحق في الحديث عن البلاد**)) وخلص إلى السؤال: ((**من هو علي عبد اللطيف الذي أصبح مشهورا حديثا وإلى أي قبيلة ينتسب ؟**[٢٠]))

وإذا كان تقرير المخابرات البريطانية صحيحا إن كاتب هذه المقالة العنصرية هو سليمان كشة، فهذا يفسر لنا سبب خلاف عبيد حاج الأمين وعلي عبد اللطيف معه ومع من شابهه وتركهم الإتحاد السوداني لهم وتأسيسهم للولاء الأبيض والتي كانت في المقام الأول، قولاً وفعلاً، مظهراً وجوهراً، حركة تمثل الوطنية الجديدة وتدعو وتعمل من إجل القومية السودانية[٢١].

إن الإدارة الإنجليزية هنا قد وقفت مع القديم بشكل واضح، وهنا يتضح الفرق بين الليبرالية والإمبريالية. فالليبرالية دعوة للحرية والحداثة، والدولة التي تحتل غيرها تكف عن أن تكون ليبرالية. والدولة الإستعمارية التي تنتهك حرية شعب كامل، لا بد لها أن تنتهك حرية الإفراد والروح الفردية، وتتنازل عن القيم الحديثة لصالح قيم أكثر تخلفاً . فالإنجليز هم من كانوا يصرون على تقسيم الناس إلى قبائل، وهم من كانوا يعذبون ثوار ١٩٢٤ ليجبروهم على ذكر أسماء قبائلهم، حين كان هؤلاء يصرون على انهم سودانيون، وينتمون للحداثة التي تنكر لها أحفاد "المغانشارتا". بل إن الإداريين الإنجليز هم من عانقوا عنصرية قادة الطوائف ومن والاهم من المثقفين ودعموها وسندوها، حيث تكتب الدكتورة يوشيكو كوريتا: ((**كان البريطانيون حريصون على تأكيد " الأصل العبودي" لعلي عبد اللطيف، محاولين إثبات أنه ليس مؤهلا لتمثيل السودان**))[٢٢] . كما نرى تحاملهم على الرجل في التقرير الذي كتبوه بعد الثورة، والمسمى بتقرير ايوارت ، وقالوا فيه عن علي عبد اللطيف ((**إنه متوحش صغير. وجد نفسه طالباً عسكرياً في الحلقة الثانية من عمره، ولما بلغ الثانية والعشرين أصبح ضابطاً. ومن ثم إنتقل من بؤرة التخلف إلى صفوة المجتمع المحلي**)) [٢٣]

هذا الوصف بالمتوحش الصغير أو حديث التقرير عن أنه أتى من حثالة المجتمع، لم يكن أبناء التايمز بقائليه لو تعلق الأمر برجل إنجليزي صعد من الصفر إلى القمة، بل لعدوه عصامياً ولأعتبروا ذلك من إيجابيات المجتمع الحر – كما فعلوا في العديد من النماذج. والحقيقة فإن العصامية والفردية والنجاح الشخصي هي من سمات الشخصية المتحررة الليبرالية، وقد كان على عبد اللطيف هنا يعبر عن روح الليبرالية الناهضة، بينما كان خصومه – من الإنجليز المستعمرين وأعوانهم المحليين - يعبرون عن روح الإرستقراطية والعنصرية المنهارة والراكدة. ولا ننسى هنا أيضا دور الأفكار الاشتراكية التي تكره الفردية والعصامية، والتي كان يعبر عنها حزب العمال آنذاك. وفي الحق فقد كانت سياسات إنجلترا وقتها خليطاً من أفكار الأرستقراطية القديمة والعنصرية العرقية والمركزية الأوروبية والإشتراكية الإمبريالية.

عموما فإن أفضل ما قيل في تحليل أفكار علي عبد اللطيف في هذا السياق ما كتبه حفيده معاوية أحمد بدري حين قال : ((**إن المدخل الحقيقى للفهم الصحيح لأى حدث هو التحليل العميق له، دوافعه، ملابساته، وظروفه وهذا للأسف ما لم يحدث مع ثورة**

١٩٢٤م فى السودان. فنجد البعض يروى أحداثها برواية الإستخبارات الإنجليزية نقلاً عن ارشيفها. والبعض الآخر يتحدث عنها بلغة العرق والقبيلة، وآخرون يتحدثون عنها نقلاً عن النسخة المحرفة لتاريخ السودان الحديث. ويعزى السبب فى صعوبة فهم أطروحات تلك الثورة هى إنها تتكلم بمصطلحات لم يتربى عليها كثيرون بعد ان أسقطها المستعمر من قاموسنا وتكالب على دفنها أولياه من السودانيين ألا وهى مصطلحات القومية)) .[٢٤]

كما كتب : ((وعلى عبد اللطيف أول قائد شعبي لفظ عبارة 'الأُمة' بمعنى الشعب السودانى، وثورة ١٩٢٤ أول حركة جسدت القومية السودانية بالمعنى الحديث وأدخلتها قاموسنا السياسى كمفهوم يدل على تعددية تشمل الجميع، قبلها كان هنالك عرب وسودانيين(اى من انحدر من اصول افريقية)ومولدين. وكما يقولون، واجهوا مشكله سيدنا آدم: سموا اشياء لم تلقب من قبل. نحن سودانيين اليوم لأنهم أطلقوا علينا هذة الصفة))

واجمل في النهاية ((إن حقيقة كون ثورة ١٩٢٤ هي ثورة قومية سودانية مثلت و حركت كامل عناصر المجتمع السوداني هي حقيقة لا جدال عليها. والذي ينظر إلى الصورة الفوتوغرافية لقادة هذه

الثورة يرى كل ألوان الطيف السودانية. هذه الثورة دفع فيها الغالي والنفيس من الأرواح والأعمار التي أفنيت في السجون وغيرها من التضحيات ولكن كل ذلك الثمن يهون أمام ميلاد القومية السودانية التي تمخضت عن تلك))[٢٥]

السودان للسودانيين وحق تقرير المصير:

رأت قيادة ثورة ١٩٢٤ (علي وعبيد) إن السودان كيان وطني مستقل عن إنجلترا وعن مصر، وهي فكرة منسجمة مع مفهوم القومية السودانية، وبهذا فله الحق في تقرير مصيره – وهذه الفكرة نجدها واضحة في كل كتابات ومواقف الرجلين. وتبدو رمزيتها ساطعة في رفض دخول المصريين أعضاءاً في جمعية اللواء الأبيض (حسب منطوق المادة الرابعة من نظامها الأساسي)، وفي كون علم الجمعية أبيض، خلافا لعلم مصر الأخضر، وفي منطوق بيانات جمعية اللواء الأبيض وكتابات علي عبد اللطيف ونداءاته.

وفي الحقيقة فإن شعار حق تقرير المصير الذي رفعه كل من علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين قد كان متقدماً جداً في ذلك الزمن، حين كانت الوطنية السودانية لا تزال تحبو على قدميها، وكانت الثورات تقوم على أساس قبلي ومناطقي وديني، بينما كانت

الامبراطورية البريطانية لا تغيب عنها الشمس. وكان أقصى طرح دولتي الحكم الثنائي لمستقبل السودان يتراوح ما بين إلحاقه بمصر أو تبعيته لبريطانيا.

ويبدو إن حق تقرير المصير قد كان هو الهم الأول لقادة الثورة، وليس أي إتحاد مع مصر، حيث يقول تقرير لجنة ايوارات التي كلفت بالتحقيق في احداث الثورة ونشرت تقريرها عام ١٩٢٥ عن مقال علي عبد اللطيف "مطالب الأُمة السودانية" التالي: (**إن المقال الذي ادين (علي عبد اللطيف) لكتابته لم ترد به كلمة واحدة لصالح مصر، بل ذهب إلى الدعوة لقيام حكومة للسودان بواسطة السودانيين وإنهاء الحكم الاجنبي . ومهما يكن من أمر، فإن معظم محتويات المقال كانت تعبيراً عن مشاعر كانت وما زالت هي المشاعر التي يفيض بها وجدان أبناء الجيل الجديد المتعلم بل حتى كبار الموظفين**)[٢٦]

ويقول الدكتور جعفر محمد علي بخيت فيما يتعلق بنداءات جمعية اللواء الأبيض لجماهير الشعب السوداني بل وحتى للمصريين (**أنها لم تكن تأبه كثيرا بالوحدة السياسية لوادي النيل، اذ انصرف إهتمامها إلى مظالم السودانيين المحلية في مواجهة البريطانيين**)[٢٧] – بل ان

واحداً من ألد اعداء الجمعية تحول إلى مواقفها مع الزمن وبرأها – عملياً – من تهمة العمل للمصريين ، ونقصد به حسين شريف ، والذي كتب لصحيفة التايمز اللندنية مقالة بعنوان "نداء إلى الشعب الإنجليزي الحر" خلص فيه إلى إن حركة اللواء الأبيض في جوهرها سودانية وإن كانت تبدو مصرية في الظاهر، وعدد أسباب قيام الحركة والثورة في التالي:

- ✓ السخط بسبب الأخطاء الإدارية التي إرتكبتها الحكومة - ويضرب مثلا على ذلك سياسة تنفيذ مشروع الجزيرة.
- ✓ الشك في نوايا بريطانيا المستقبلية بصدد السودان.
- ✓ إزدياد الوعي الوطني وزيادة التطلعات الوطنية التي وجدت طريقها لقلوب كثير من السودانيين.
- ✓ مصادرة الحريات عقب الحرب.
- ✓ أثر الخلاف بين مصر وبريطانيا على السودان.
- ✓ حددت مصر نواياها لمستقبل علاقتها مع السودان بينما لم تحدد بريطانيا بالمقابل نواياها.

إن حسين شريف يذكر نقطة الخلاف بين مصر وإنجلترا كنقطة واحدة وليست رئيسية (أتت في ترتيب المقال كالنقطة الخامسة من ضمن ستة نقاط) ، وهو لا يتحدث أبداً عن أي تبعية لحركة اللواء الأبيض للمصريين او خدمة لمصالحهم، وإما يتحدث عن "أثر الخلاف" بين دولتي الحكم الثنائي على السودان والسودانيين، وكأنما يشير إلى إن حركة اللواء الأبيض قد استغلت ذلك الخلاف لمصالحها الخاصة في اجلاء الإنجليز عن السودان، كيف لا وهي التي رفضت في نظامها الأساسي انضمام المصريين إلى صفوفها. وفي الحقيقة فإن عداء حسين شريف مع حركة اللواء الأبيض وقادتها لم يكن ابداً بسبب ولائها المزعوم لمصر، لأنه كان يعرف أنه ليس هناك مثل هذا الولاء، وإنما لانها رفضت القيادة الدينية الطائفية التي كان مرتبطا بها مادياً وروحياً، والتي كان يظن أنها المؤهلة لتمثيل البلاد والحديث بإسمها، ولأنها – أي الجمعية والثورة- أرادت تقديم قيادة ((ذلك الجزء الوضيع من المجتمع)) كما جاء في المقالات التي نشرت بصحيفته في ذم الثورة.

ويمضي حسين شريف أكثر لينتقل من فكرة إستمرار تبعية السودان لإنجلترا التي كان يطرحها قادة الطوائف الدينية وعماء القبائل ، إلى

تبني شعارات الثورة نفسها. حين كتب مطالبا بأن تتم تسوية المسألة السودانية على أساس إن السودان للسودانيين وأنه ليس للإنجليز ولا للمصريين، وهو ما يذكرنا بالشعار والبرنامج الرئيسي لجمعية الإتحاد السوداني الذي كان يقول (السودان للسودانيين والمصريون أولى بالمعروف) . ومن المعلوم إن المعروف ليس حقاً، وكأنما ارادوا القول إن السودان لنا ، أما مصر فنعاملها بالمعروف – كجارة وحليف محتمل –. ولنتذكر إن هذا الشعار المتقدم كان قد طرح إبان وأعقاب ثورة ١٩١٩ في مصر والتي كانت ترفع شعارات ((مصر والسودان لنا، وإنجلترا لو أمكنا))

يتابع حسين شريف الفكرة ليذهب لضرورة تكوين حكومة وطنية من السودانيين على غرار حكومة العراق، وذلك حتى تلائم ظروف البلاد ، وليتوفر من الوقت ما يعين على تطور السودان وتحقيق إستقلاله، على أن يتضمن إعلان تلك الحكومة إعلان مماثل بالنسبة لحصة السودانيين في مجالات التعليم والعمالة ووالجيش والإدارة والزراعة وغيرها، وهذا هو لب ما طالب به علي عبد اللطيف في "مطالب الأُمة السودانية. "

ويمضي حسين شريف أكثر في التماهي مع اطروحات الإتحاد السوداني واللواء الأبيض ليطلب ((ضرورة تحديد ذلك الإعلان لمركز إنجلترا وطبيعة الرابطة التي ستربط بينها وبين السودان، وكذلك أن يعين المصالح الحيوية لمصر والروابط الضرورية التي يمكن أن تكون في مصلحة البلدين)). بل يذهب أبعد من ذلك ليرى ((أن يكون هناك نوع من الإتحاد بين الأمتين للمحافظة على الروابط الأزلية التاريخية للقطرين الشقيقين ، على أن يكونا ملزماً لكل منهما، لكي يحول دون قيام نزاع فيما بينهما في المستقبل)) [٢٨]– وهذا الطرح مطابق لما طرحته اللواء الأبيض في صدر المادة الخامسة من نظامها الأساسي "توحيد مصر مع السودان. "

وفي الحقيقة فإن حسين شريف رغم الكتابات الاستعلائية – التي نشرت في صحيفته – عن علي عبد اللطيف وعن قيادة الثورة والثوار، ورغم اطروحاته المبكرة عن تفويض حقوق السودانيين للبريطانيين وللقادة الدينيين والقبليين، قد عاد وأنصف الثورة وطوّر من مواقفه حتى قاربت مفاهيم الثوار. وقد يرجع ذلك لكونه ايضاً ينتمي للقطاع الحديث والمثقف من المجتمع رغم إرتباطه بالقوى القديمة. وربما يكمن بعض من خلافه مع الثوار أنهم نافسوه في مجال

أساسي وهو : من هو الصوت المفصح عن المثقفين آنذاك: صوت حسين شريف (الذي وضعه في خدمة قادة الطوائف) أم صوت الثوار الذين يريدون التحدث به أصالة عن انفسهم وعن الشعب؟. وعموما فإن اسهام حسين شريف في تكوين أفكار الإتحاد السوداني واللواء الأبيض نفسه لا يمكن أن ينكره المؤرخ المحايد، وذلك بثبيته لوجود المسالة السودانية والهوية السودانية، وإن اختلفوا معه فيما بعد في كيفية التعامل مع هذه المسالة السودانية[٢٩]

إن وثائق المخابرات الإنجليزية نفسها توضح إن علي عبد اللطيف لم يكن مؤيدا لمصر، ناهيك عن ان يكون واقعا تحت النفوذ المصري. ففي تقرير شهري للمخابرات عن شهر مايو ١٩٢٤ رقم ٥٣٨ يكتب التقرير عن علي جمعية اللواء الأبيض ((**رئيس الجمعية علي عبد اللطيف دينكاوي كان ضابطاً بالجيش المصري وأحيل في عام ١٩٢٢. سُجن بتهمة الاثارة وقادت الصحف حملة لإطلاق تأييد قضيته حتى أكتشفت إنه غير مؤيد لمصر**)) – ورغم إن التقرير من بعد يقول إن علي عبد اللطيف إقتنع إن مستقبل السودان مرتبط بمصر، فهذا لا يدلل إلا على تناقض التقرير نفسه واحتوائه على

معلومات غير صحيحة أُخرى (عن تاريخ الجمعية) ، كما تنفيه المؤشرات العديدة الاخرى.

رفض القيادة الطائفية والقبلية:

رأي الزعيمان إن القادة الدينيين والقبليين لا يعبرون عن الأُمة السودانية ولا يمثلونها، وإنما يمثلون انفسهم، بل إن سياساتهم مضرة بالقضية السودانية . كما رأوا إن الآخرين أيضا لهم الحق في تمثيل إنفسهم وإعلان رأيهم- في هذا الصدد مهمة هي الإشارة المعبرة في الإجتماع التأسيسي لجمعية اللواء الأبيض حيث أشار علي عبد اللطيف لواحد من أسباب تكوين الجمعية بالتالي: (**والله نحنا اجتمعنا دلوقت لانو حتكون في مفاوضات. المفاوضات دي دلوقت السيد عبد الرحمن عمل الإجتماع بتاعو واعلن رأيو. ونحن ما بنعتقد ان النظار والعمد والمشايخ بيمثلونا. لأننا نحنا ناس برضو عندنا راي في الحكاية دي**).[٣٠]

أما جمعية الإتحاد السوداني فيصنفها أحد الكتاب أنه ((**رغم أن اعضائها كانوا مشبعين بالتراث إلا انها كانت تنظيماً علمانياً في تلك المراحل البدائية في تشكيل الشخصية السودانية، حيث كان من السهل القول عن الذين اهتموا بفصل الدين عن السياسة بأنهم**

علمانيون))[٣١]- وكانت الجمعية ذات مواقف واضحة ضد القيادات الطائفية والدينية والقبلية المتعاونة مع الإنجليز وقتها. وفي ذلك قال عبيد حاج الأمين في معرض نقده لسياسة الإنجليز في استغلال السكان ومحاولة التفريق بين مصر والسودان (مما يؤسف له إن الإنجليز استغلوا زعماء البلاد لتحقيق ذلك الغرض) – أما شعراء الجمعية فقد كانوا أكثر اقداما حيث قال قائلهم (ألا يا هند قولي أو اجيزي / رجال الشرع أصبحوا كالمعيز/ ألا ليت اللحى كانت حشيشاً / لتعلفها خيول الإنجليز) - ويذكر فتحي الضو أنه (قيل أن على عبد اللطيف كان يضع هذه الابيات في صدر غرفته بحيث يطالعها الداخل بوضوح. فتأمل).[٣٢]

إن العديد من الكتاب قد انتبهوا لهذا البعد الحداثي والتجديدي ضد -الطائفي وضد – القبلي لقيادات اللواء الأبيض، فدكتورة يوشيكو كوريتا تتحدث عن أن علي عبد اللطيف كان يشكل ((نوعاً فريداً من القيادة لم يكن معروفا للمجتمع السوداني حتى ذلك الحين))[٣٣] وتمضي أكثر لتقول ((إن علياً نفسه كان مدركاً لهذه الحقيقة. وقد كان نضاله منذ تقديم مطالب الأُمة السودانية ذا مستويين: الأول كان النضال ضد الحكم البريطاني. لكن كان ثمة

باعث خفي – هو النضال ضد الزعماء الدينيين والقبليين "الذين لا يعبرون إلا عن أشخاصهم"))[٣٤] كما ان محمد عمر بشير في سرده لوقائع الثورة يتحدث عن هذا التناقض فيقول ((ولم تفزع حكومة السودان من تلك التطورات فحسب، بل أصاب الهلع أيضا زعماء الطوائف والقبائل العتيدين المؤيدين للوضع الراهن. وراؤا في نشاط اللواء الأبيض تحديا وتهديدا لمراكزهم ومصالحهم، ولم يكونوا على إستعداد للإختفاء وراء الصفوف لكي يسمحوا لأولئك الذين يصفونهم بأنهم اشخاص غير مسؤولين ومتهورين بأن يسرقوا منهم سلطانهم التقليدي وأن يفرضوا إرادتهم وسلطتهم.))[٣٥]

وإذا شئنا أن نوضح الفرق بين قادة الثورة وبين القيادات الطائفية والقبلية القديمة، فيمكننا الإقتباس بصورة واسعة من المقال الممتاز لحفيد علي عبد اللطيف وهو الأستاذ معاوية أحمد البدري والموسوم ب "حقيقة الصراع والإخفاء في تاريخ السودان الحديث" والذي يقول فيه:

((إن الأحداث التي تجرى في السودان الآن وحقيقة إخفاء الحقائق الجلية في تاريخ السودان الحديث لا يمكن فهمها بمعزل عن فهم حقيقة الصراع السوداني السوداني في بدايات هدا القرن.وهو

صراع دار حول الإطار الذي يجب أن يكون عليه المجتمع السوداني حديث التكون في المدن آنذاك. تبلور هذا الصراع وطفا إلىالسطح خلال حقبة العشرينات وخصوصا خلال أحداث ثورة ١٩٢٤)).

((في تلك الفترة كان هنالك تياران رئيسيان في المجتمع السوداني . تيار القوى الحديثة الناشئة وهى عرقياً تشمل مزيج من أهل السودان الذين حط بهم الرحال في الخرطوم و المدن الكبيرة في السودان وذلك بعد أن حطت الحرب أوزارها وانطفأت جذوة القتال وبذلك هم أيضا مزيج من بقايا جيوش المهدية و العناصر السودانية التي رافقت الجيش الإنجليزي الفاتح،أضف إلى ذلك العناصر التي جاءت مع التركية السابقة و أثرت البقاء في السودان ولا ننسى أيضا العناصر من قبائل وسط السودان التي أثرت حياة المدن على البادية))

((مهنياً كان هذا التيار يشمل ألوان طيف عديدة من الأفندية وهى طبقة الموظفين في ذلك الزمان وصغار التجار والعمال والحرفيين والمزارعين وضباط الجيش وغيرهم. أما فكريا فكانت أيدلوجية هذا التيار الحديث هي رفض الولاء العرقي و القبلي والطائفي و البحث عن هوية مشتركة تجمع الجميع بغض النظر عن

التباين الموجود، هوية قادرة على صهر هذه التناقضات لا تزكية لنارها. لذلك جاء المولود الجديد وهو الهوية السودانية الصرفة التي لا ترتكز على أساس عرقي أو قبلي أو طائفي ويكون فيها شرط المواطنة هو فقط الإنتماء لهذا الوطن وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.بذلك كان ثورة ١٩٢٤ هى المخاض. وكانت أحداث تلك الثورة بلورة أهازيج هذا التيار وفكرهم الثوري الذى يعتبر تطوراً للفكر الثوري للمهدية الذي حاول جمع أهل السودان في بوتقة واحدة وان اختلفوا عنه في الإطار و طريقة التنفيذ))

((كان هذا التيار الحديث حديثاً بمعنى الكلمة حيث حاول الخروج من التقوقع في المحلية و الإرتباط بالتيارات الثورية الناشئة في العالم عقب الحرب العالمية الأولى. فخاطب البلشفيين بتعابيرهم واستلهم آليات غاندي في الثورة السلمية و تبناها أبطاله،فكان رصاصهم المقالات وجيشهم التظاهرات، كما توثقت علاقاتهم بالثوريين المصريين الذين تسلموا دفة الحكم في مصر بعد ثورة ١٩١٩ فكانت رسائل البطل على عبد اللطيف لسعد زغلول. كما أنه ليس بالمستغرب إن يكون محمد نجيب زعيم الضباط الأحرار في مصر هو رفيق البطل على عبد اللطيف في المدرسة الحربية وصديق

شخصي له.حداثة هذا التيار كانت في دعوتهم الشاملة الجامعة. كانت في طريقة التعبير عن الرأي؛ كانت في سمو و رقى الطرح، حداثتهم كانت في سنهم الصغير نسبيا.كانت في زغاريد النساء مع كل مظاهرة تخرج.حداثتهم كانت في طرحهم لرؤى إقليمية تبلورت بعد ذلك في نهايات القرن الفائت.))

((كان هذا التيار على استعداد أن يدفع الغالي والنفيس من اجل تلك الهوية النفيسة ،وكانت درره تخرج من قلبه من قلب الشعب فكان يقدم القرابين من أفضل ما لديه من الرجال وكشف حسابه في هذا المجال طويل يصعب جرده من قائمة الأبطال على عبد اللطيف ،عبيد حاج الأمين، عبد الفضيل الماظ، ثابت عبد الرحيم،....الخ. إن تيار القوى الحديثة في السودان قد إستبق كثير من رصفاه فى حركات التحرر في أفريقيا والشرق الأوسط بتقديم بوتقة إنتاجه في ثورة ١٩٢٤ وذلك قبل أن تتبلور هذه الأفكار التحررية في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية ويظهر قادتها المعروفين.ولذلك كان إخماد هذه الثورة هو نهاية البداية لتيار القوى الحديثة في السودان)).

((في الجانب الأخر من المجتمع السوداني كان هناك تيار النبلاء والزعماء التقليديين سواء كانوا طائفيين أو القبليين الذين قام الإنجليزبتقوية شوكتهم لمجابهة القوى الحديثة في المجتمع السوداني. وكانت رؤية هذا التيار أن المجتمع السوداني مكون من طبقتين طبقة عامة الشعب وطبقة السادة وإن كان هنالك من أحد يحق له إن يرث السودان فهي تلك الطبقة. فهم ذوى الأصول النبيلة و الشجرة الظليلة، وكان هذا لسان حال صحيفتهم حضارة السودان عندما قدم إليهم البطل على عبد اللطيف مقالته الشهيرة عن مطالب الأُمة لنشرها فتسألوا عن أصله وقالوا ان الأُمة السودانية يجب أن يتكلم عنها فقط ذوى الأصول النبيلة.وكانت وجهة نظرهم تتطابق مع رأى الإنجليز الذين كانوا ينعتون كل من ينكر الولاء القبلي والطائفي والعرقي باللاوطنى. وكان هذا التيار ومازال على إستعداد أن يأخذ لا أن يعطى فكان يتلقى الدعم المادي والمعنوي من المستعمر.وهو تيار لم يكن يرتكز على قواعد شعبية و إنما على الولاءات العمياء ولم يكن له فكر سياسي يقدمه لأن زعامته ليسوا بسياسيين و إنما ورثة ولاءات ولذلك لم يستطيعوا أن يقدموا الطرح السياسي والبطل النموذج عندما ألت إليهم المقاليد في ما بعد. وقد تبلورت قمة نشاطات هذا التيار في رحلة الولاء و الطاعة

لملكة بريطانيا والتي خلعت فيه لقب سير على بعض قادة هذا التيار ،وهذه الرحلة وأغراضها وأهدافها تم إخفائها بعناية من تاريخ السودان الحديث كما تم إخفاء أراء قادة تيار النبلاء في ثوار ١٩٢٤ والثورة)).[٣٦]

نهج التعاون الطبقي بديلا للصراع الطبقي:

كحركة وطنية تعمل من أجل التحرر الوطني، فقد حاولت جمعية اللواء الأبيض تجميع كافة ألوان الطيف الإجتماعي في عضويتها ونشاطاتها، فكان بين صفوفها العمال والتجار، المزارعين والأفندية ، رجال الدين وبعض القيادات القبلية. وإذا كان هناك من جهة استثنتها الحركة من محيط نشاطاتها، فقد كانت فقط تلك القطاعات من الارستقراطية الدينية والقبلية التي ربطت نفسها بصورة واضحة بالمستعمر، والتي من الواضح أنها قد أُستثنت لأسباب سياسية وليست إجتماعية، بدليل محاولة الجمعية كسب قيادات قبلية أخرى لصفها، مثل الحال مع مك الجموعية وآخرين.

وإذا كانت قوة الجمعية كامنة في المقام الأول بين الكتبة أي موظفي الحكومة والجيش أي الجنود والضباط، فان عضويتها انتشرت وسط مختلف الفئات الإجتماعية. وقد نظمت الجمعية جمعية للعمال

أستمر نشاطها حتى عام ١٩٢٥، ومن جهة أخرى نظمت جمعية للتجار أو إتحاد تجاري. وقد نجحت جمعية اللواء الأبيض في تجنيد الكثير من الحرفيين السودانيين من الخياطين والنجارين، والإسكافيين إلى جانب الخريجين والمعلمين والكتبة ونواب المآمير السودانيين بل والعاطلين عن العمل. وقد لعبت أغلب هذه العناصر دورا بارزا في المظاهرات التي نظمتها الحركة ، وأن كان بمساهمة كبيرة من الفئات الشعبية من الحرفيين وفقراء المدن.

ويظهر منهج التعاون الطبقي في أن الجمعية عملت على تنظيم التجار والعمال معا، وفي أثناء المظاهرات العارمة في يونيو ويوليو ١٩٢٤ أصدرت جمعية اللواء الأبيض عدة بيانات أعلنت فيها عدم عدائها لفئة التجار ودعت المتظاهرين لعدم التخريب وعدم مهاجمة المحال التجارية.

كما يظهر نهج التعاون الطبقي في إن جمعية العمال وهي تنظيم فئوي تابع للواء الأبيض قد كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإتحاد العام لنقابات عمال وادي النيل (بقيادة الوفدي عبد الرحمن فهمي) – وهو إتحاد رائد وثوري حيث أن قيادته كانت في يد المصريين بينما كانت قيادة الإتحاد العام للعمال المصريين (الشيوعي) حصرا في يد

الأجانب. وكان عبد الرحمن فهمي وإتحاد عمال وادي النيل (واللواء الأبيض وجمعية العمال المتحالفة معها بالضرورة) ذوي موقف واضح رافض للشيوعية والتي كانت تشهد انتعاشاً في مصر آنذاك، وفي الدعوة لمنهج التعاون الطبقي في مرحلة التحرر الوطني.

وخلافا لبعض الإيحاءات، فان حركة اللواء الأبيض – ككل - لم تخضع لأي من التأثيرات الشيوعية، رغم انه من المشتبه إن احد منظميها كان واقعا تحت تأثير شيوعي، ونقصد هنا علي احمد صالح (ود حاجي) ، والذي كان له دور كبير في نشاطات الجمعية ، والذي تحول فيما بعد إلى شاهد ملك ضد الثورة والثوار، وأفشى كل أسرار الجمعية، وهاجر بعد فشل الثورة إلى ألمانيا، حيث أصبح عضوا في الحزب الشيوعي الألماني هناك.

بالمقابل كانت سياسة الجمعية تذهب في اتجاه مخالف، فكما قلنا أصدرت الجمعية عددا من البيانات إبان الثورة تطمئن فيها التجار أنها لا تستهدفهم ، وتدعوهم إلى الانخراط في الثورة. كما إن اللواء الأبيض – وجمعية العمال التي تبعت لها أو كانت احد منظماتها الفئوية – فد تناءت عن أي تحركات يشتم منها رائحة التخريب أو تخرج عن الهم الوطني، وفي ذلك تقول دكتورة يوشيكو

كوريتا((وعلى سبيل المثال، فقد ظل موظفو النقل النهري في الخرطوم بحري اللذين يشكلون القسم الأهم في جمعية العمال (وكثيرون منهم من غير العرب ومن ذوي الأصل الجنوبي) صامتين عندما كان صغار التجار والحرفيون من الخرطوم وامدرمان (ومعظمهم من العرب الشماليين) يتظاهرون تحت علم مصر الأخضر ويرشقون محلات التجار الأجانب بالحجارة)).

جدير بالذكر إن منهج التعاون الطبقي قد يكون مقتبسا من التجربة المصرية ، وخصوصا من تجربة إتحاد عام نقابات وادي النيل ، خلافا لإتحاد عام عمال مصر (الشيوعي) الذي كان يدعو لتسعير الصراع الطبقي والذي كانت تقوده العناصر الأجنبية من يونانيين وأرمن ويهود في المقام الأول . وكان إتحاد عام نقابات وادي النيل في علاقة تحالف وتعاون وثيقة مع جمعية العمال التابعة للواء الأبيض. تقول الدكتورة يوشيكو كوريتا عن هذا الإتحاد (غنى عن القول إن إتحاد عام نقابات وادي النيل الذي تشكل في مصر في مارس ١٩٢٤ بقيادة الوفدي عبد الرحمن فهمي كانت نتاجا لثورة ١٩١٩ وانه كان ثوريا بمعنى انه يرمز إلى انجاز تحرك الحركة العمالية في مصر إلى أيدي مصريين أي "التمصير" (بعد أن كانت تسودها

العناصر الأجنبية فيما مضى) ولكنها في ذات الوقت منظمة ظهرت للوجود بهدف مواجهة تهديدات الشيوعيين (كما يتجلي من حقيقة انه تشكل بعد فترة وجيزة من القمع الفظ للحركة الشيوعية في الإسكندرية في ربيع ١٩٢٤)- أنها منظمة لمصالحة الرأسماليين والعمال . وقد هاجم عبد الرحمن فهمي الشيوعية مرارا باعتبارها "عقيدة الحرب والتخريب" وشدد على أهمية النضال القانوني.))[٣٧]

ورغم اعتراضنا على نظرية الدكتورة إن ذلك الإتحاد قد نشأ أصلا لمواجهة الشيوعيين، وربطها ذلك فقط بتاريخ نشؤه، متجاهلة في ذلك الدور الكبير عبد الرحمن في الحركة العمالية وكامل الحركة الوطنية المصرية، إلا إننا نتفق معها إن ذلك الإتحاد كان ينحو منحى التعاون الطبقي لا الصراع الطبقي، وهو منحي مقبول في تلك الفترة التي كان الصراع الأساسي فيها وطنيا لا طبقيا، على عكس ما دعا اليه الشيوعيون في تلك الفترة المتطرفة من تاريخهم التي دفعت فيها قيادة الأممية الشيوعية (الكومنترن) أحزابا شيوعية كثيرة في الشرق إلى المحرقة (ومن أهمها الحزب الشيوعي الصيني)،بالفرض عليها أن تقاتل ضد الحركات الوطنية الأخرى المسماة بالبرجوازية. تم ذلك قبل أن يتراجع الكومنترن عن خطه الجنوني ذاك في عام

١٩٢٨ ومن بعد في الثلاثينات داعيا لسياسة الجبهة المتحدة في أوروبا وفي الشرق، الأمر الذي نفذته أيضا الأحزاب الشيوعية بشكل أعمى ودون رشد ، إلا إن هذا موضوع آخر قد نتطرق له يوما ما لنحلل تأثير الخضوع الأعمى للمركز الأممي في نشاط الأحزاب الشيوعية في أفريقيا والعالم العربي عموما والسودان خصوصا.

إن عبد الرحمن فهمي – رغم ما كتبته عنه الدكتورة المتأثرة شديداً بالفكر الشيوعي- ، قد كان يعتبر في مصر من التيار اليساري في حزب الوفد ، ومن العناصر الثورية والشعبية فيه، رغم موقفه الواضح من الشيوعية. كما إن تشابه فلسفة عبد الرحمن فهمي في التركيز على النشاط القانوني يمكن أن نجده واضحا مع كامل منهج جمعية اللواء الأبيض، والتي كان العمل القانوني والسلمي واحداً من أهم بنود نظامها الأساسي، وليس فقط مع جمعية العمال.

عموما تمضي دكتورة كوريتا لتقول عن إتحاد عبد الرحمن فهمي ودوره في السياسة المصرية – حسب تحليلها-: (وخلاف وظيفة الإتحاد العام كوسيط بين الرأسماليين والعمال كانت له وظيفتان خاصتان. الأولى أن يكون حلقة وصل بين حكومة مصر الوفدية

وحكومة بريطانيا العمالية والثانية أن يكون حلقة وصل بين مصر والسودان . وكان من المأمول أن يقوى الإتحاد العام من خلال هاتين الوظيفتين موقف سعد زغلول في تعاملاته مع ماكدونالد. ولقد أطرى عبد الرحمن فهمي حزب العمال البريطاني واصفاً إياه كحزب يقوم على(مبادئ الاشتراكية النبيلة التي لا تتعارض مع أي دين) . كما نشط عبد الرحمن فهمي أيضاً في قضية الإتحاد مع السودان))[٣٨]

وتواصل دكتورة كوريتا القول عن علاقة ذلك الإتحاد باللواء الأبيض عن طريق جمعية العمال: ((ومع ذلك كان حريصاً على ألا تضر هذه الأنشطة الحكومة الوفدية في مفاوضاتها مع بريطانيا. ولهذا حث أعضاء الإتحاد العام على عدم الاشتراك في مظاهرة كانوا يخططون لها للتعبير عن تعاطفهم مع الحركة في عطبرة في أغسطس ١٩٢٤. وقال "هناك خطر أن تتسلل بعض العناصر الشريرة في صفوف العمال وتحدث اضطرابات قد تقود إلى نتائج غير مرغوبة")).

((وبإيجاز فقد قيّد العمال المصريون الذين انتظموا تحت راية الإتحاد العام أنفسهم بذات مفهوم "القانونية والسلمية" الذي قيّد أعضاء

اللواء الأبيض. ويبدو واضحا إن عبد الرحمن فهمي لم يكن يعني بالأنشطة غير القانونية وغير السلمية سوى أنشطة الشيوعيين . ولقد كانت جمعية اللواء الأبيض مرتبطة بالإتحاد العام هذا ارتباطا وثيقا عبر منظمتها الفرعيةجمعية العمال. ولا غرو أن حالت هذه العلاقة دون تعاون اللواء الأبيض مع القوى الإجتماعية التي يناوئها الإتحاد العام))

وبعد أن تذكر الدكتورة بعضا من محاولات الدخول الشيوعي للسودان في تلك الفترة ، تلخص رأيها فتقول : ((وكما ذكرنا آنفا فالإتحاد العام لنقابات عمال وادي النيل كان يمثل الوجه الأكثر ثورية وشعبية في قضية "وحدة وادي النيل" مقارنة بالجوانب التي يمثلها أعضاء الأسرة المالكة أو الحزب الوطني. وللمفارقة ، كانت العلاقة مع الإتحاد العام، إبان إحداث ١٩٢٤ ، رغم ذلك ، عاملاً سلبياً أكثر من كونها عاملا ايجابيا))[٣٩]

إننا لا نتفق البتة هنا مع التحليل النهائي للدكتورة كوريتا ، رغم اتفاقنا معها في المعلومات. فالدكتورة تفترض أن علاقة الإتحاد العام مع اللواء الأبيض حالت (دون تعاون اللواء الأبيض مع القوى الإجتماعية التي يناوئها الإتحاد العام) ، دون أن توضح لنا ما هي

هذه القوى الإجتماعية المقصودة . والحقيقة إن الدكتورة ربما تقصد إن ذلك حال (دون تعاون اللواء الأبيض مع الشيوعيين)، وهم قوة سياسية كان وزنها صفرا حينذاك في السودان، رغم بعض الوجود لهم في مصر وخصوصا في الإسكندرية. كما إن الدكتورة نفسها تكشف وتوثق لنشاط اللواء الأبيض الكثيف وسط العمال والحرفيين وفقراء المدن، فما هي إذن هذه القوى الإجتماعية التي لم تتعاون معها اللواء الأبيض بسبب علاقتها مع الإتحاد العام ؟

الحقيقة إن اللواء الأبيض قد نشطت وسط صفوف العمال بالأصالة لا بالوكالة ، والحقيقة أنها سبقت نشاط الشيوعيين في السودان، والحقيقة انه لم يكن هناك وجود شيوعي يؤبه له في تلك الفترة بالسودان، كما لم يكن هناك غير شيوعي واحد مفترض في كل الجمعية هو علي احمد صالح (شاهد الملك) . والحقيقة الساطعة إن منهج اللواء الأبيض في التعاون الطبقي ودعوتها لتوحد كل المواطنين في النضال ضد المستعمر قد كان هو التكتيك السليم وقتها، ولا نستبعد أن يكون علي عبد اللطيف قد اقتبسه من أطروحات عبد الرحمن فهمي والإتحاد العام ، أو أن يكون قد توصل له بعبقريته الذاتية.

نحن نرجح أن يكون هذا النهج اختياراً سياسياً واعياً لعلي عبد اللطيف، والذي يبدوأ كان على إطلاع واسع بتجارب الحركات التحررية في العالم ، وبالتالي على معرفة بمسالبها. ولا نستبعد أن يكون عارفا بالتجربة الشيوعية في الشرق وإخفاقاتها. ومما يدلل على عبقرية علي عبد اللطيف وبراغماتيته، انه في الوقت الذي كان يتحالف فيه على المستوى السياسي مع الحزب الوطني المصري (الأكثر راديكالية في موقفه من الإنجليز من الوفد) ، كان على مستوى العمل العمالي يتحالف مع الإتحاد العام لنقابات عمال وادي النيل (الوفدي) ، والذي كان مع ذلك أكثر راديكالية من حزبه الأم كما تقول الباحثة اليابانية، ويرفض – بوعي – التحالف مع أو تبني خطط الإتحاد العام لعمال مصر (الشيوعي) القائمة على تسعير الصراع الطبقي.

هذا التحليل يدعمه الرأي المطروح من الباحث محمد أيوب فضل الله (هاروناب) ، في مقال حديث له بعنوان (حركة ١٩٢٤ .. اجندات متصادمة ومصادر شحيحة) عن أسباب خيانة علي أحمد صالح، والتي يعزوها ليس لضعف الرجل أو لأسباب مصلحية، وإنما لخلافات سياسية له مع قيادة اللواء الأبيض. وبعد أن يوضح

الباحث نشاط علي أحمد صالح ذو الخلفية الشيوعية ومسارات جمعية اللواء الأبيض المخالفة ينتهي للقول عن الرجل:(في تقديري إن الفترة من تاريخ اعتقال عبيد حاج الأمين في ١٩٢٤\٧\٣٠ وحتى تاريخ اعترافه (علي احمد صالح) فى١٩٢٤\٨\٢٨ قد شكلت في داخله قناعة أثرت بشكل كبير في جدوى انتمائه للجمعية. و هذه الفترة تبدو الفترة الأكثر إظلاما في تاريخ اللواء الأبيض، فقد سكتت المصادر عن ذكر حتى ولو إشارة عابرة عن لمحة من حياة المعتقلين داخل السجن. ولكن اعتراف على احمد صالح يبدو لي انه جاء نتيجة لحوار ساخن دار حول مآلات الجمعية خاصة بعد اعتقال عبيد حاج الأمين. فالاعتراف لا يبدو دافعه الخيانة أو طمعا في خلاصه من السجن كما انه لم يجيء نتيجة لقهر التحقيقات التي كانت جارية آنذاك (راجع مذكرات صالح عبد القادر بجريدة الصحافة عدد ١٩٦٧\١٠\١٢٤ ففيها صورة بشعة عن أساليب التحقيق التي اتبعتها المخابرات البريطانية). فاعترافه اختار له مدير مديرية الخرطوم مما يعنى انه جاء بإرادة حرة وانه ينطوي على معلومات على مستوى عال تتطلب مسئولا على ذات المستوى وانه هدف فعلا لنسف جمعية اللواء الأبيض ، فلماذا؟)[٤٠]

يجيب الباحث على نفسه فيقول: (يتضمن تنأول يوشيكو كوريتا لعلاقة إتحاد عام نقابات وادي النيل مع جمعية اللواء الأبيض قدرا كبيرا من الإجابة على هذا السؤال. فقد اتضح له إن نشاط الجمعية كان يجرى وفقا لإرادة تصادمت أهدافها مع أهدافه ومن يمثلهم داخلها، وهو أمر بات جليا بعد أن ارتبطت اللواء الأبيض ارتباطا وثيقا بإتحاد عام نقابات وادي النيل الذي وضحت أهدافه الحقيقية خلال الانتفاضة ، إذ لا يستقيم عقلا أن يتفق على احمد صالح بما ورد عنه مع قيادة وأهداف هذا الإتحاد أو يستمر التزامه مع جمعية اللواء الأبيض، التي خضعت له وامتثلت لتوجيهاته التي أضرت بحركتهم المنتفضة آنذاك)[٤١]

إن الباحث هنا يبالغ في زعم إن مواقف الإتحاد العام أضرت بالانتفاضة ، فالإتحاد لم يفعل غير أن وصى أعضائه – المصريين – بعدم تنظيم مظاهرة تضامنية واحدة. ولكن إذا صح تحليلنا إن جمعية اللواء الأبيض هي جبهة عريضة مؤقتة التقت فيها تيارات مختلفة ، كانت الغلبة فيها لتيار الإتحاد السوداني ومجموعة علي عبد اللطيف، وإذا صح تحليلنا إن علي عبد اللطيف – وعبيد حاج الأمين قطعاً – قد اختارا طريق التعاون الطبقي لا الصراع الطبقي في العمل

الوطني، فان تحليل الباحث عن أسباب خيانة (ود الحاجي) يصبح مقبولاً. إذ لم يكن هناك فرصة لذلك الكادر الشيوعي - بعد اتضاح تكتيكات الثورة وقيادتها - سوى تصفية الجمعية تماما، تنفيذاً لتوجيهات الكومنترن بتصفية الحركات الوطنية المسماة بالبرجوازية بكل السبل، وانتظارا لما تأتى به الأحداث في المستقبل من إمكانية قيام نشاط شيوعي مستقل.

الهجوم الكاسح على الثورة من اليمين واليسار :

تعرضت ثورة ١٩٢٤ لهجوم كاسح من قبل اليمين واليسار في زمنها وفيما بعد، في منهج ليس غريباًإذا سلمنا بالفكرة الأساسية لهذا المقال، وهو ان تلك الثورة سعت للجديد وللتحرر في اطار عصري وحديث، وذلك دون ان تسقط في إسر الشمولية الشيوعية ، والتي كانت جرثومتها – او حماها على قول الكاتب الشيوعي اللبناني سليم خياطة - تنتشر في الغرب وفي الشرق، وتحاول ان تجد لها مدخلا في السودان.

وقد تبدى هجوم اليمين على الثورة وقائديها ابان انطلاقها، وفيما بعهد هزيمتها، وكانت صحيفة الحضارة المنبر الرئيسي لذلك الهجوم، فضلا عن البيانات التي اصدرها المتعاونون مع الإستعمار الإنجليزي من

قادة طائفيون وقبليون، وللأسف يبدو ان بعض اعضاء الإتحاد السوداني السابقين، ممن كانوا يمحضون التقدير للقيادات الطائفية، قد تورطوا في الهجوم على الثورة، مثل سليمان كشة والذي تنسب المخابرات البريطانية له مقالا في الهجوم على الثورة بالحضارة، وان بقى موقف معظم القيادات التي كانت تنتمى للإتحاد السوداني ولم تنضم للواء الأبيض، مثل ابراهيم بدري واحمد السيد الفيل وعبد الله خليل وحامد صالح الملك الخ ، موقفا سلبيا ، ليس فيه دعم واضح للثورة، كما ليس فيه هجوم كاسح عليها.

أما الهجوم من جهة اليسار فقد دشنه عبد الخالق محجوب فى كتابه الموسوم "لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني" ، والذي يعتبر انجيلا في مجال الهيستورغرافيا بالنسبة للشيوعيين السودانيين، حيث صنف هذه الثورة بأنها "حركة" للطبقة الوسطى"، والتى اسماها بالراسمالية الوطنية، حيث كتب عن تفكك المجتمع القبلي بعد اتفاقية الحكم الثنائي ودخول الانشطة الاقتصادية الجديدة وظهور فئات من المثقفين الحديثين فقال ((لهذا يمكننا القول أنه قد خلقت طبقة جديدة من الراسمالية الوطنية

تسكن المدن وتتكون من التجار والمثقفين ولها آمال في النمو والحرية الوطنية[٤٢]))

وبعد أن يحدد الظروف التي مرت بالبلاد وقتها والتي دفعت تلك الطبقة للعمل، وهي الظروف التي يراها في التناقض بين طرفي الإدارة الإستعمارية الثنائية من جهة والحرب العالمية وما خلفته من حركات ثورية من جهة أُخرى، يذهب إلى القول التقريري – التبسيطي التالي: ((وهكذا بدأت الطبقة الوسطى تبني تنظيماتها السرية من جمعية اللواء الأبيض وجمعية الإتحاد السوداني، وصارت هذه الجمعيات تصدر المنشورات المطالبة بوحدة وادي النيل كما انها تتناول بعض التصرفات التي أقدمت عليها الإدارة البريطانية مثل مشروع الجزيرة وخزان سنار .. الخ . بعد هذا نظمت هذه التنظيمات مظاهرات عام ١٩١٩ حتى قام اعضاء منها في القوات المسلحة بثورة في الخرطوم اصطدمت مع القوات البريطانية في الخرطوم عام ١٩٢٤[٤٣])

في الفقرة السابقة هناك خطأن جوهريان: الأول هو أن بيانات الجمعيتين كما تم توثيقهنا أعلاه لم تكن تنادي بوحدة وادي النيل كهدف رئيسي، بل كانت تنادي بحق تقرير المصير في المقام الأول.

و الخطأ الثاني هو الإشارة للمظاهرات أنها قامت في عام ١٩١٩ في حين أنها قامت في عام ١٩٢٤ . (اللهم إلا إذا كان يعني بعض المظاهرات البسيطة للمصريين في السودان تضامناً مع ثورة ١٩١٩ المصرية، وإن كانت هذه المظاهرات لا علاقة لها بحركتي الإتحاد السوداني واللواء الأبيض بأي حال، والذين تكونا في غضون ١٩٢٠-١٩٢٤، أي بعد تلك المظاهرات المصرية)

ويمضي عبد الخالق محجوب في تقييمه ليقول ((يمكننا القول في وصف هذه (الحركة) وتقديرها : أنها (حركة) وطنية سياسية ضد الإستعمار البريطاني بدأت تنظم الأفراد لا على أساس قبلي بل على أسس سياسية. أنها لم تخرج عن حدود حركة الطبقة الوسطى في تكوينها وطبيعتها[٤٤].))

نسجل هنا إن عبد الخالق محجوب يرفض تماما تسمية ثورة ١٩٢٤ بأسمها، أي انها كانت ثورة وطنية، ويستكثر عليها هذا الإسم، وذلك بسبب موقفه العدائي من الطبقة الوسطى التي يرى أنها قادت تلك الثورة. نجد هذا في الوقت الذي يسمي فيه المهدية بالثورة الوطنية (صفحة ١٣ من كتابه المشار اليه)، ويسمي تحرك ود حبوبة بالثورة (صفحة ١٥)، ويسمي التحركات القبلية في

الجنوب وجبال النوبة بالثورات (صفحة١٥) ، بل لا يتورع ان يسمى ثورة ١٩١٩ المصرية بالثورة (صفحة ١٧) رغم أنه قادتها أيضا الطبقة الوسطى. فكيف تكون كل تلك التحركات والانتفاضات ثورات وتكون ثورة ١٩٢٤ مجرد حركة أو حوادث كما يسميها تارة أخرى عبد الخالق محجوب ويرفض أن يمنحها شرف تسميتها بالثورة؟

إن عبد الخالق محجوب والذي كان قبل كتابة كتابه هذا بعامين قد كتب مقالاً مطولاً عن الخليفة عبد الله التعايشي ، يحاول فيه رد إعتباره بل ويصفه بالبطل الوطني، يستنكر مثل رد الإعتبار هذا لقيادات تلك الثورة والذين لا يذكر أسمائهم حتى في كتابه ذاك، بل يمضي للهجوم الساحق عليهم – والذي يعتمد على معلومات غير صحيحة ومضللة- حين يقول:

((إن الشعار الرئيسي لهذه الحركة "وحدة وادي النيل" يعبر عن العجز الاقتصادي والسياسي للطبقة الوسطى السودانية أكثر من التعبير عن رغبة الجماهير الشعبية في الإنعتاق من عسف الإستعمار البريطاني)) [٤٥]. وهو ما أوضحنا خطله حيث كان الشعار الرئيسي لجمعيتي الإتحاد السوداني واللواء الأبيض ولثورة ١٩٢٤ هو حق

تقرير المصير وليس أي وحدة مزعومة مع مصر. وقد أوضحنا وغيرنا إن هذه الدعوة – حينما وأينما طُرحت - كانت من قبيل العمل التكتيكي الصرف لتحقيق الهدف الأسمى وهو الجلاء عن السودان وتحريره. وقد أوضح كثير من المؤرخين إن هذه الدعوة تم النظر إليها والتعامل معها دائما كوسيلة لتوحيد النضال ضد العدو الأقوى، وهو عين ما طرحه الشيوعيون فيما بعد حينما دعوا للنضال المشترك مع الشعب المصري، بل نشأ حزبهم في احضان الحركة الشيوعية المصرية وقادتها الأجانب امثال هنري كوريل ومرسيل اسرائيل وهليل شوارتز الخ. فلماذا هذا التحامل والتجني؟

ويمضي عبد الخالق محجوب في تحامله على الثورة وقادتها ليقول ((كانت تلك الحركة خالية من أي برنامج يمكن بمقتضاه تعبئة الجماهير وحملها للإنضمام إليها ، إذ إن البرنامج في مجمله لم يخرج عن ترديد ألفاظ الحرية ووحدة وادي النيل وعاشت مصر- أما المستقبل الذي يمكن أن تلقاه الجماهير من نظم ديمقراطية للحكم وتقدم اقتصادي وإجتماعي فإمور كانت مهملة في الحركة[٤٦]))

إننا لنحزن لهذا الكم الهائل من الإجحاف والتجني- ذلك أنه إذا كانت هناك حركة وطنية في ذلك الوقت في دول الجنوب والشرق

قد أهتمت بقضايا الناس الملحة فقد كانت هي حركة اللواء الأبيض وقياداتها. إن جميع وثائق تلك الحركة وتصريحات قادتها لم تخل أبداً من إهتمام كبير بقضايا الناس الملحة، كما وثقنا أعلاه وكما وثق غيرنا. ولا ريب عندنا إن المعلومات لم تكن تنقص عبد الخالق محجوب في هذا الإطار، بقدر ما تحكّم فيه المقت الايدلوجي لتلك الحركة والذي أدى به في النهاية لتغيير وتحوير الحقائق التاريخية.

وفي الحقيقة فإن تاج السر عثمان (المشهور بالسر بابو) وهو المسؤول الثقافي للحزب الشيوعي وعضو لجنته المركزية قد كتب مؤخرا نافياً وناقداً إتهامات عبد الخالق محجوب غير المستندة على الحقائق عن ثورة ١٩٢٤ وقادتها، حيث قال في مقال له بعنوان "قراءة نقدية في كتاب لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني" التالي عن ثورة ١٩٢٤ وتأثر عبد الخالق محجوب بالنهج الستاليني في التعامل معها التالي:

((ومؤلفات ستالين كان لها أثر سلبي فيما يختص بتناول تطور الحركة الوطنية من خلال الأحكام الجامدة حول المثقفين والبورجوازية الوطنية في بلدان المستعمرات والتي كان لها الأثر بهذا القدر أو ذاك على تقدير عبد الخالق نفسه لثورة ١٩٢٤ م

ولمؤتمر الخريجين ، فمثلا جاء في الكتاب السابق ، طبعة دار الوسيلة ، ص ١٨ ، عن حركة ١٩٢٤ ما يلي : (كانت تلك الحركة خالية من أي برنامج يمكن بمقتضاه تعبئة الجماهير وحملها للانضمام إليها ، إذ أن البرنامج في مجمله لم يخرج عن ترديد ألفاظ الحرية ووحدة وادي النيل وعاشت مصر) . وهذه صورة غير دقيقة .. فمنشور ناصح مخلص أمين الذي ورد في مؤلف حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السوداني ــ الجزء الأول ــ ، كان فيه نقاط برنامجيه للحركة غير وحدة وادي النيل وسقوط الإستعمار مثل :

- مقاومة مصادرة أراضي المزارعين في الجزيرة.
- رفض احتكار الحكومة لسلعة السكر.
- مقاومة انفراد المبشرين المسيحيين بالتعليم في الجنوب)).[٤٧]

إن السر بابو إذ يسجل هذا الاعتراف الخجول، وهو خجول كونه لا يوثق كل النقاط البرامجية للحركة والثورة المنحازة للناس، وإذ ينتقد موقف عبد الخالق محجوب وكل تحليلاته عن الطبقة الوسطى وعن دور الماركسية وعن دور الحزب الشيوعي وعن الأفكار المطروحة

في الساحة، فهو ينسف كل الهيستورغرافيا الشيوعية لتاريخ السودان الحديث. ولكن السر بابو – كعهده- لا يعلن ذلك بوضوح، ولا يلحق نقده الصحيح لموقف عبد الخالق من ثورة ١٩٢٤ بمراجعات نقدية تجاه موقف الشيوعية والشيوعيين عموماً من الطبقة الوسطى ، وخصوصا تجاه هجومهم عليها في السودان وعملهم لتدميرها. وهو ما أدى في المحصلة – مع غيره من العوامل التي ساهم فيها الشيوعيين- وبالترابط مع ممارسات وسياسات الرجعية الطائفية والفاشية الإسلاموية المعاديتان للطبقة الوسطى – إلى إيصال بلادنا إلى هذا الدرك الاسفل الذي تقبع فيه من الخراب والفساد والتخلف.

ويواصل عبد الخالق محجوب اتهاماته للثورة فيقول: ((كان تنظيم الحركة ضعيفا وغير متسع في المستوى المطلوب لمجابهة الإستعمار – كذلك كانت به بعض العناصر الخائنة التي أُتهمت بنسفه والتأمر على اعضائه المتحمسين)).[٤٨]

في الحقيقة إن الاتهام الأول غير صحيح. ذلك إن حركة اللواء الأبيض والتي نشأت عمليا من رحم انقسام في جمعية الإتحاد السوداني ذهب فيه القسم الأعظم من قيادات "الإتحاد السوداني"

لمواقع السلبية او المحافظة، والتي تعرضت لضربات اجهاضية مختلفة تبدت في الاعتقال المبكر لعلي عبد اللطيف قائدها الرئيس ومنظمها الجبار بعد شهرين فقط من تأسسيها – كان قبلها قد قضى عاما كاملا في السجن في سنوات ١٩٢٢-١٩٢٣ ، ثم إعتقال عبيد حاج الأمين وكامل اللجنة المركزية لاحقاً، قد استطاعت أن تحشد مظاهرات كبيرة كان عدد المشاركين في بعضها يفوق الألف شخص، كمظاهرة بورتسودان في ٢٧ يوليو ١٩٢٤. وتقول الباحثة الإيطالية ايلينا فيزاديني إنه من تتبع وثائق المخابرات البريطانية يمكن رصد ٨٠٠ محرض كانوا يعملون لصالح جمعية اللواء الإبيض. وتردف إن فروع الجمعية قد انتشرت كالهشيم في جميع انحاء السودان، من الخرطوم إلى مدني ومن الفاشر إلى بورتسودان ومن حلفا إلى واو، وإن نشاطها قد شمل كل المديريات، باستثناء مديرية كسلا.

كل هذا كان في ظل هجوم ضار على الجمعية وقيادتها من قبل القوى الموالية للإنجليز من القيادات الدينية والقبلية ومن تبعهم من المتعلمين (ولا نقول المثقفين)، وفي ظل سياسة قمع وحشية مارسها الإنجليز والتي تمثلت تجاه جمعية اللواء الأبيض في سياسة " أضرب

إضرب ثم واصل الضرب " ومنهج إنهاك الجمعية بحرمانها من قياداتها بالسجن او حتى الاغتيال. فكيف بحق السماء أو الارض يطالب عبد الخالق محجوب الجمعية التي لم يدم عمرها أكثر من بضعة أشهر، بأكثر مما عجز عنه الحزب الشيوعي طوال أكثر من ٧٠ عاما في تاريخه؟ (في طوال تاريخه لم يُخرج الحزب الشيوعي مظاهرة واحدة تحت أعلامه الخاصة فيها أكثر من ألف شخص)

أما الاتهام للحركة بأنه كانت هناك عناصر خائنة في صفوفها؛ وذلك للنيل من الثورة فإنه من العجب العجاب. فكيف نتهم ثورة وننال منها ونغمط من حقها لمجرد وجود خائن واحد أو إثنين في صفوفها التي ضمت الآلاف من الأعضاء والمناصرين ؟! إن الشيوعيين ينبغي أن يكونوا أبعد الناس عن طرح مثل هذا الاتهام، فصفوفهم على طول التاريخ قد امتلأت بالخونة الحقيقين والأبرياء المتهمين زورا بالخيانة. فرومان مالينوفسكي رئيس البلاشفة في الدوما على عهد القيصرية والرجل الأول في تنظيم الحزب البلشفي في روسيا منذ عام ١٩١٠ وحتى عام ١٩١٧ كان عميلا للأوخرانا (جهاز البوليس السري للقيصر) [٤٩]، بينما كان رئيس الحزب الشيوعي في الدنمارك (أسكيل لارسين) لعقود عميلا للمخابرات الأمريكية[٥٠]. أما

في العالم العربي فقد كان زعيم الحزب الشيوعي المصري في أعوام ١٩٢٧-١٩٣١ (محمد عبد العزيز) عميلا للمخابرات المصرية والإنجليزية من خلفها حتى اضطر الكومنترن لحل ذلك الحزب[٥١] ، وغيرهم كثير وكثير. هذا غير من اتهمهم الشيوعيين انفسهم في صراعاتهم الداخلية بالخيانة والعمالة، وفي تاريخ الحزب الشيوعي السوداني قوائم طويلة من الخونة الحقيقيين والمبهوتين، بل ان من اتهم بالخيانة من قيادات اللواء الأبيض شخصين فقط كان احدهما يمينيا خالف الثورة فكريا وانضم إلى معسكر خصومها في الايام الحاسمة (سليمان كشة) وأخر كان متهما بالشيوعية (علي أحمد صالح) والذي ادلى باعترافات كاملة ضد اللواء الأبيض كشف فيها كل اسرارها المعلومة لديه. ولو أردنا أن نسلك نهج التشنيع الذي مارسه عبد الخالق محجوب تجاه الثورة لقلنا أن الثورة قد خانها أول شيوعي نشط في السودان، فعلي عبد الخالق محجوب أن يجلد رفيقه الأول في الفكر لا الثورة وتنظيماتها وقادتها على تلك الخيانة.

تبخيس الثورة والثوار والحاجة إلى إعادة التقييم:

والحقيقة إن ثورة ١٩٢٤ والحركات والقيادات التي ساهمت فيها، تحتاج إلى إعادة قراءة وإلى إعادة تقييم، بما يمسح عنها الظلم التاريخي

الذي تعرضت وما تزال تتعرض له. وقد كان هذا إحساسنا ونحن نتابع ما أسماه حفيد علي عبد اللطيف ب"حقيقة الصراع والاخفاء في تاريخ السودان الحديث" ، في المقالة بنفس الإسم والتي تحدث فيها عن واقعة ((إخفاء الحقائق الجلية في تاريخ السودان الحديث))، وهي الممارسة التي تورط فيها العديد من السياسيين السودانيين والمؤرخين المؤدلجين ضمن دورهم في الصراع السوداني السوداني الذي دار ويدور حول ((الإطار الذي يجب أن يكون عليه المجتمع السوداني حديث التكوين))كما يقول نفس الكاتب.

إنه من المؤسف حقاً – ولكن غير مثير للحيرة عندما نتابع سيرورة الصراع السوداني / السوداني هذا وتجلياته منذ عام ١٩١٩ وحتى اليوم – أن نعلم إن الكتابين الوحيدين الذين صدرا عن علي عبد اللطيف لم يكتبهما سودانيين. أعني هنا كتاب "الزعيم علي عبد اللطيف" بقلم عبد الحميد ابراهيم عبد الرحمن وهو مصري من أصول سودانية، وكتاب " علي عبد اللطيف وثورة ١٩٢٤: بحث في مصادر الثورة السودانية " والذي كتبته الباحثة اليابانية د. يوشيكو كوريتا. يبدو هنا وكأن المؤرخون السودانيون قد إستنكفوا الكتابة عن هذا الرجل العظيم في تاريخنا، وهو ممن تعتبر

الأمم الأُخرى امثاله من مؤسسي دولها، وترفع لهم النُصب التذكارية وتسمي بأسمهم المتاحف والمدن والجامعات، ناهيك عن أن تكتب عن سيرتهم الكتب والأبحاث والدراسات.

وكأنما كان ذاك قليلا، فغير التقليل من شأن علي عبد اللطيف إبان الثورة وبعدها من معسكر القديم والعملاء المعلنين للاستعمار، نجد مؤرخاً يسارياً مثل محمد سعيد القدال يحاول أن يُبّخس من قدر الرجل ويرفض إعطاء لقب الزعيم له، حين يقول في مقدمته للطبعة العربية لكتاب الدكتورة كوريتا: ((ونجد في هذا الجزء مزيداً من التوضيح للدور المصري في احداث ١٩٢٤. فقد أخذت الصحف المصرية تضفي على عبد اللطيف صفة "الزعيم" إسوه بالزعيم سعد زغلول. ولعل في هذا الوصف "جرعة خارجية " فوق قدرات الواقع السوداني. إن صفة "الزعيم" كانت افرازا لطموحات البرجوازية المصرية في ثورتها العاصفة عام ١٩١٩. ولكن تلك الطموحات لم تجد أساساً إجتماعياً متيناً ترتكز عليه في السودان. فكان ذلك اقحاماً على بنية ذلك المجتمع. إن الزعامة تخرج من داخل حركة إجتماعية وليست لقباً يمنح من الخارج[٥٢]))

إننا لا نعلم ما هو السبب الذي يجعل سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ في مصر زعيماً، ويمنع على عبد اللطيف قائد ثورة ١٩٢٤ من أن يكون زعيماً. إننا قد نتفق مع القدال إن الزعامة تخرج من داخل حركة إجتماعية، ولكن ألم تكن ثورة ١٩٢٤ حركة إجتماعية ، أم أن الحركات الإجتماعية يفترض أن تكون طبقية أو يسارية ؟! إن كتابة القدال تبدو وكأنها تنقد موقف د. كوريتا والتي إعترفت بزعامة علي عبد اللطيف، وقدمت تعريفات للزعامة تنطبق عليه، حين قالت وهي تعلق على وصف علي عبد اللطيف بالزعيم في فقرة مهمة من كتابها بنفس الاسم: ((ومما يثير الإهتمام إن كاتب هذه السيرة عن علي إختار له لقب "الزعيم" ، وحاول أن يضفي عليه صورة سعد زغلول في مصر . ولكن ما هو أكثر اثارة للاهتمام إن هذا المنحى لم يبتدعه الكاتب. إذ كانت تحين أوقات خلال ثورة ١٩٢٤ نفسها تطابقت فيها صورة علي مع صورة سعد زغلول.))[٥٣]

وبعد ان تعدد الكاتبة المظاهرات والشعارات التي كانت تهتف بحياة علي عبد اللطيف وتتعامل معه كزعيم، وخصوصا المظاهرات الشعبية العفوية التي قادها ((من الناس نجارين ومن الناس خياطين وخصوصا شابين)) على قول العازة ، أي نجارين وخياطين

وخصوصا الشباب، والتي كان إسم علي عبد اللطيف يتردد فيها باستمرار، تقول الكاتبة: ((وبهذا المعنى كان علي بحق هو "الزعيم". ولهذا أُرغمت حكومة السودان من ترحيله من سجن كوبر إلى رئاسة القوات البريطانية، حتى تفرض عليه رقابة صارمة))[٥٤].

إن إنكار القدال الزعامة عن علي عبد اللطيف ، هو أمر عجب، في ظل اثبات الدكتورة كوريتا التي يُقدِّم كتابها له بالزعامة. ولكن إذا عُرف السبب بطل العجب. فدكتور القدال في مسيرته كمؤرخ كان يُفصِّل أفكار عبد الخالق محجوب عن التاريخ السوداني ولا يخرج عن اطارها العام قط. فكل مساهمات د. القدال عن الثورة المهدية هي شرح وتوسيع لمقال عبد الخالق محجوب عن الخليفة التعايشي والذي كتبه في مجلة "الفجر الجديد" في عام ١٩٥٨ . وكتابات القدال عن تاريخ الإسلام والسياسة في السودان هي إستمرار وتطوير لمقالات عبد الخالق محجوب عن الدستور الاسلامي في صحيفة "أخبار الإسبوع" عام ١٩٦٨ و كتاباته عن الأخوان المسلمين والفصل الأول من كتابه "المدارس الاشتراكية في افريقيا". أما كتابات القدال عن تاريخ السودان الحديث فهي تطوير وتوسيع للفصل الأول من كتاب عبد الخالق محجوب" لمحات من تاريخ

الحزب الشيوعي السوداني" ، وهكذا وهلمجرا. وإذا كان عبد الخالق محجوب قد استبخس من قدر الثورة وزعيمها، بل ورفض تسميتها بالثورة، فإن القدال لن يسمي قائد الثورة زعيماً. كل هذا في حين لم يستنكر القدال ان يسمي الاستاذ شوقي بدري لأحد الموظفين الشيوعيين بالزعيم، وإعني بذلك "الزعيم" التجاني الطيب بابكر ، والذي سقط في دائرته بالذات في أُمدرمان، في إنتخابات حرة وديمقراطية. فيا لها من زعامة تلك، ويا له من تبخيس ذاك، الذي واجه به مؤرخي اليسار زعيم ثورة ١٩٢٤، بل زعيم السودان حتى يومنا هذا ، أي علي عبد اللطيف.

إن سيرة التزييف والتبخيس لم تبدأبعدم الإهتمام بعلي على عبد اللطيف في سيرورة الهيستوروغرافيا السودانية ، أي الحكم بالاعدام المعنوي عليه بعد مماته، وإنما بدأت فعليا، في حياته، بما فعلته الاحزاب السودانية -الطائفية والشمولية- وهي في بداية عهدها، حين تجاهلته ورمته وأقصته. فمن الملاحظ إن الأحزاب السودانية التي بدأت تتكون منذ عام ١٩٤٢ ، لم تعر قضية فك أسر على عبد اللطيف أي أهمية في مطالبها، ولم تنادي بإطلاق سراحه قط، حتى موته في الأسر في عام ١٩٤٨. كما لم يوثق

التاريخ لأي من قيادات هذه الاحزاب قيامه بزيارة علي عبد اللطيف وهو في غياهب مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية في القاهرة والتي كان مسجونا بها، وهي نفس القيادات كانت تحج إلى مصر في فترة الأربعينات وتجعجع بإسم القضية السودانية. إننا اذ لا ننعي على حزب الأُمة (تأسس عام ١٩٤٤) أنه لم يهتم بقضية إطلاق سراح علي عبد اللطيف، كون ذلك الحزب كان إستمراراً طبيعياً للقوى المضادة للثورة في ١٩٢٤ ، فإننا نستغرب ذلك من الاحزاب الإتحادية المختلفة – قبل وقوعها في أسر الطائفية – وكذلك على الحركة الشيوعية السودانية، والتي تأسست عملياً في مصر في عامي ١٩٤٥-١٩٤٦، وكان أغلب قادتها المؤسسون يقيمون بمصر ، على بعد أمتار من مكان إحتجاز علي عبد اللطيف، ومع ذلك لم يعيروه اهتماماً، ولم يجعلوا مطلب إطلاق سراحه من أهدافهم قط.

إن هذا أمر مخجل ومخزٍ في تاريخ تلك الأحزاب والقيادات التي أدعت الحديث بإسم الوطن وقتها، حينما كانت زوجة الشهيد تناضل – منفردة – من أجل إطلاق سراحه وتسافر إلى مصر وتكتب العرائض إلى القيادات المصرية تطالب بإطلاق سراحه. لقد

تمزق قلبي حين قرأت أول مرة العريضة التي كتبتها العازة محمد عبد الله (زوجة علي عبد اللطيف) إلى وزير الحربية والبحرية تطالب بإطلاق سراحه من مستشفي الأمراض العقلية الذي كان محتجزاً خلف قضبانه ، وتطالب بتسليمه إلى اهله فيما إذا كان مريضا حقاً، وهو حق مكفول لأهل المريض حينها. تقول العازة في عريضتها -التي لم يكتب مثلها ادعياء السياسة- في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٨:

((حضرت من السودان عقب ترحيل زوجي علي أفندي عبد اللطيف من سجن كوبر بالسودان إلى مصر . وكنت أود ان أجده بمنزل مخصص او مستشفى بخلاف ما رأيته. وقد نزلت أنا وزوج بنتي - أي بنت علي أفندي - بمنزل أحد المعارف هنا بمصر وإتصلنا به في وقت الزيارات بالمستشفى ولم نرى من علي أفندي أي مرض كما يقولون سوى أنه يعتقد أنه سجين وقد إختلف السجن في شيء قليل عن سجن السودان. وقد سعينا بعد ذلك بعد أن علمنا إن المريض مِلكاً لأهله لا مِلك المستشفى إلا في بعض الأمراض الفتاكة . ونظرت كثيرا من الناس الذين يدخلون تلك المستشفى متى يريدون اهلهم أخذهم يسلمون إليهم. ففي هذه الحالة قدمت الطلب إلى مدير المستشفى فقابل ذلك الطلب بكل امتناع وكل

حذر مع العلم أنه معي من يزكي طلبي أمام المدير المذكور وهم ضباط عظام. فحينئذ تأيد حديث علي أفندي لي دواماً أنه مسجون وليس مطلوق السراح كما يقولون. فيا معالي الوزير ارفع هذا الطلب راجية مساعدتي بتسليم زوجي واني أقوم بعلاجه بمعرفتي خارج المستشفي))[٥٥]

وتمضي العازة لتطالب برفع معاش علي عبد اللطيف من خمسة جنيهات ومائنان وخمسين مليما وهو مبلغ لا يكفي سد مصروفات عائلة تبلغ عددها ستة أنفس بخلاف السودان. كما تطلب المساعدة بترحيل بقية عائلة علي عبد اللطيف إلى مصر لكي يكونوا بجواره، وهي أمور لم تتم. وتختم خطابها بالقول ((ولا يخفي على معاليكم ما فعله علي أفندي. إن كان نداء الوطن هو ذنب فذاك ذنب على أفندي عبد اللطيف))

فما اقسى مصير الابطال، وما أخلص موقف الناس البسطاء العاديين، مثل العازة، زوجة البطل وام السودانيين، وما أكثر بؤس الساسة الطائفيين والشموليين في السودان، حينها والآن.

الهوامش والمراجع:

[1] قرشي عوض، عادل عبد العاطي.. التكفيري الديمقراطي (٣) ، مقال بصحيفة الصحافة ، عدد يوم ٢٠٠٧/٨/٢٣.

[2] سيرة علي عبد اللطيف تلخيصا من : يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م: بحث في مصادر الثورة السودانية، ترجمة مجدي النعيم، مركز الدراسات السودانية، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٤م، الصفحات ٦٣-٨٤.

[3] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م: بحث في مصادر الثورة السودانية، ترجمة مجدي النعيم، مركز الدراسات السودانية، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٤م، صفحة ٧٢.

[4] محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان (١٩٠٠م-١٩٦٩م)، ترجمة هنري رياض وآخرون، الدار السودانية للكتب، بدون تاريخ نشر- صفحة ٩٨.

[5] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م: بحث في مصادر الثورة السودانية، مرجع سابق، صفحات ٧٠-٧١.

[٦] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م: بحث في مصادر الثورة السودانية، مرجع سابق، صفحات ٧٠-٧١.

[٧] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م: بحث في مصادر الثورة السودانية، مرجع سابق، صفحة ٢٨.

[٨] Baily report on the origin of the White Falg League, 1924, Appendix 7 of ewart Report

[٩] محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحة ٩٦-٩٧.

[١٠] مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ نشر، صفحة ٥٢٣-٥٢٤.

[١١] محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحة ٩٨.

[١٢] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م: بحث في مصادر الثورة السودانية، مرجع سابق، صفحة ٢٧.

[١٣] عبد الفتاح عبد الصمد منصور ، العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي ١٨٩٩-١٩٢٤، من وثائق المخابرات البريطانية، تقرير رقم ٢٩٨ في مايو ١٩١٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٣١٥.

[١٤] مها عبدالله حاج الأمين، الباحثة اليابانية دكتورة كوريتا و أحداث ٢٤- نشر بموقع منتديات بري المحس ،

http://www.burryalmahas.net/vb/showthread.php?t=283

[١٥] محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحة ١٠٤.

[١٦] محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحة ١٠٠.

[١٧] حسن نجيلة:ملامح من المجتمع السوداني، الطبعة الأولى، دار الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم –١٩٩٤.

[١٨] إلينا فيزيديني، "نحو هوية وطنية: جمعية اللواء الأبيض ونهضة القومية في السودان ١٩١٩-١٩٢٤م"، مجلة آداب، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد ٢٣، ديسمبر ٢٠٠٥م. ص ٩٧

[١٩] طارق عبدالله، جمع ، تاريخ ما أهمله التاريخ – الشهيد عبدالفضيل الماظ: الطيب نور الدائم ، موقع http://www.tahalof.org/- ٢٠٠٨/١٢/١٤

[٢٠] أحمد إبراهيم دياب، ثورة ١٩٢٤ –دراسات ووقائع، الخرطوم ، ١٩٧٧، ص ٣٢.

[٢١] إلينا فيزيديني، "نحو هوية وطنية: جمعية اللواء الأبيض ونهضة القومية في السودان ١٩١٩-١٩٢٤م"، مرجع سابق.

[٢٢] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٤٠.

[٢٣] محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحة ٩٨

[٢٤] معاوية أحمد بدري، ثورة ١٩٢٤ وتزييف التاريخ فى السودان والمسكوت عنه، مقال نشر في منتديات موقع سودانيز اونلاين - http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=356&msg=1200286797

[٢٥] معاوية أحمد بدري، ثورة ١٩٢٤ وتزييف التاريخ فى السودان والمسكوت عنه، مرجع سابق.

[٢٦] محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحة ٩٩.

[٢٧] د. جعفر محمد علي بخيت، الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ، ص ٧٠.

[٢٨] حسين شريف ، Apeal to the free British People ، نقلاً عن محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحات ١٠١ -١٠٣

[٢٩] في إختلاف مفهوم الوطنية السودانية بين صحيفة الحضارة وجمعية اللواء الأبيض راجع بحث الدكتورة يوشيكو كوريتا: **علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق**، الفصل الأول.

[٣٠] **يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٧٥.**

[٣١] **ود وطن بلا قيود، التجربة السودانية ..وكان ذلك هو الحصاد – مقال نشر على موقع http://www.sudaneseoffline.net/، ٢٠٠٥/٤/٢٠**

[٣٢] **فتحي الضّو ، تصوّيف السيّاسة أم تسيّس التصوّف (١)؟! ، مقال نُشر بموقع سودانيز اونلاين . كوم - ٢٠٠٨/٧/٢٩، http://sudaneseonline.com/ar/article_20244.shtml**

[٣٣] **يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٧٧.**

[٣٤] **يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٧٧.**

[٣٥] محمد عمر بشير ، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان، مرجع سابق، صفحة ١٠٤.**

[٣٦] **معاوية أحمد بدري، ثورة ١٩٢٤ وتزييف التاريخ فى السودان والمسكوت عنه، مرجع سابق.**

[٣٧] **يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٣٥.**

[٣٨] **يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٣٦.**

[٣٩] **يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٣٦.**

[٤٠] محمد أيوب فضل الله (هاروناب) ، حركة ١٩٢٤ .. اجندات متصادمة ومصادرشحيحة، اكتوبر ٢٠١٠ ، بحث نشر بالمدونة الشخصية للكاتب ، http://wwwomdurmani9.blogspot.com/2010/10/1924.html

[٤١] محمد أيوب فضل الله (هاروناب) ، حركة ١٩٢٤ .. اجندات متصادمة ومصادر شحيحة، مرجع سابق

[٤٢] عبد الخالق محجوب ، لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، الطبعة الثالثة ، دار الوسيلة للطباعة والنشر، الخرطوم ، السودان ١٩٨٧ م، ص ١٦.

[٤٣] عبد الخالق محجوب ، لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، مرجع سابق، ص ١٧.

[٤٤] عبد الخالق محجوب ، لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، مرجع سابق ، ص ١٧-١٨.

[٤٥] عبد الخالق محجوب ، لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، مرجع سابق، ص ١٨.

[٤٦] عبد الخالق محجوب ، لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، مرجع سابق، ص ١٨.

[٤٧] تاج السرعثمان، قراءة نقدية في كتاب لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني،موقع الحوارالمتمدن، العدد: ٢٤٦٨ ،٢٠٠٨/١١/١٧ ، الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=153556

[٤٨] عبد الخالق محجوب ، لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، مرجع سابق، ص ١٨.

[٤٩] Ralph Carter Elwood: *Roman Malinovsky, a life without a cause*, Oriental Research Partners, 1977

[٥٠] Danish Institute for International Studies, "Denmark During the Cold War: Highlights of the DIIS report, June 30 2005, p. 3.

[٥١] د. رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الأول ١٩٠٠-١٩٤٠، صفحات ١٠٢٠-١٠٢١ وصفحات ١٠٤١ -١٠٥٤ .

[٥٢] **يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ١٣.**

[٥٣] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ٧٧.

[٥٤] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، صفحات ٧٨-٧٩.

[٥٥] يوشيكو كوريتا، علي عبداللطيف وثورة ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ١١٧.